المذاهب الفكرية المعاصرة

٤٢٥ عقد ٢

المستوى السادس

البيئة والحياة

جمع وإعداد الدكتور

علي بن سماعيل الحمد

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الدراسي

١٤٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا : تعريف المذاهب الفكرية .

المذاهب جمع مفرده مذهب ، والمذهب في اللغة : محل الذهاب وزمانه ، و هو الطريقة المتبعة سواء أكانت طريقة متبعة مادية أم معنوية ، علمية أم عملية . ولذلك قيل فيه المعتنق الذي يذهب إليه .

- تعريف الفكر : الفكر هو النظر والروية والتأمل والاعتبار ، وإعمال الخاطر في الشيء ، وحركة الذهن ، سواء أكانت هذه الحركة إيجابية أم سلبية .
- و يعرف بأنه : إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول .

ويقال الفكر: ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا ، وقد يكون اعتقادا .

- تعريف المذهب الفكري في الاصطلاح : مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ، أو مجموعة ما حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية [1] .

وعرفه آخرون بأنه : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة [2].

سمات المذهب الفكري :

للمذاهب الفكرية سمات خاصة بها يمكن أن نجملها فيما يلي :

المذاهب الفكرية نتاج عقلي محض .

المذاهب الفكرية بينها تناقض واختلاف نظرا لاختلاف مشارب مبتدعيها .

المذاهب الفكرية ليست لها علاقة بالوحي ولا صلة بالرسالات الإلهية ، ونسبتها للبشر ، ولا يصح أن نطلق على أي رسالة إلهية مسمى مذهب فكري حتى لو أصابها تحريف .

المذاهب الفكرية متغيرة وليست ثابتة .

أين نشأت المذاهب الفكرية ؟

تنشأ المذاهب الفكرية في البيئة التي لديها قابلية لها ، أو في المناخ المهيأ لذلك ، ولذا نجد أن المذاهب الفكرية نشأت في الغرب ولم تنشأ في المجتمعات الإسلامية ، ولكنها انتقلت فيما بعد إلى المجتمعات الإسلامية لأسباب يأتي ذكرها في موضعها.

---

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف د/ ١ الطبعة الثالثة الرياض .

[2] اللغة العربية بالقاهرة مادة ذهب ، ط الكويت .

أسباب نشأة المذاهب الفكرية في المجتمعات الغربية .

تـرجع نشأة المذاهب الفكرية في الغرب للمناخ الفكري الذي أصابه العطب والعفن بسبب انحرافه عن خـط الرسالات الإلهية الهادية والعاصمة للفكر الإنساني من الردى والزيغ والهوى ، ويمكن أن نجمل هذه الأسباب فيما يأتي :

أولا : التحريف الذي طرأ على رسالة نبي الله عيسى عليه السلام بعد رفعه .

ثانيا : فساد رجال الدين الكنسي وطغيانهم والذي شمل كل المناحي .

ثالثا : تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية في جانبها الفكري والمدني ، وترك الجانب الروحي والخلقي .

رابعـا : الرغـبة الجـادة لدى الغربيين بالأخذ بأسباب التقدم الحضاري والبحث العلمي ، وردة فعل الغربيين ضد الدين بسبب ممارسات رجال الكنيسة ضد الباحثين ورجال العلم .

وهـنا نقطـة ينبغـي التنبيه إليها حيث إنها تفسر بعض أسباب ممارسات رجال الكنيسة ضد الباحثين والمكتشـفين العلميين ، وهـي إدخالهـا فـي العقائد ما لم ينزل الله تعالى به سلطانا ، وإنما أخذوها كافتراضات علمية ولما تثبت بعد ، فقد جعلوها يقينية عندهم ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من عقيدتهم ، فأثبت البحث العلمي بطلانها ، وتبنى ذلك الباحثون والعلماء ، فكان موقف الكنيسة منهم هذا الاضطهاد العنيف .

يقـول العلامـة أبو الحسن الندوي : ولكن من أعظم أخطاء رجال الدين في أوربا ومن أكبر جناياتهم علـى أنفسـهم وعلـى الديـن الذي كانوا يمثلونه أنهم دسوا في كتبهم الدينية المقدسة معلومات بشرية ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية ربما كانت أقصى ما وصلوا إليه من العلم فـي ذلك العصر، وكانت حقائق راهنة لا يشك فيها رجال ذاك العصر ، ولكنها ليست أقصى ما وصل إلـيه العلم الإنساني ، وإذا كان ذلك في عصر من العصور بغاية ما وصل إليه علم البشر فإنه لا يؤمن علـيه التحول والتعارض ؛ فإن العلم الإنساني متدرج مترق ، فمن بنى عليه دينه فقد بنى قصرًا على كثيـب أصيل من الرمل . ولعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ولكنه كان أكبر جناية على أنفسهم وعلى الدين ، فـإن ذلـك ، كان سبباً للكفاح المشئوم بين الدين والعقل والعلم الذي انهزم فيه ذلك الدين المختلط بعلم البشـر الـذي فـيه الحق والباطل والخالص والزائف – هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين سقوطاً لم ينهضوا بعده ، وشر من ذلك كله وأشأم أن أوربا أصبحت لا دينية.

ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه في كتبهم المقدسة ، بل قدسوا كل ما تناقلته الألسن واشتهر بين الناس وذكـره بعض شراح التوراة والإنجيل ومفسريها من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية ، وصبغوها

صبغة دينية وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الاعتقاد بها ونبذ كل ما يعارضها ، وألفوا في ذلك كتباً وتآليف ، وسموا هذه الجغرافية التي ما أنزل الله بها من سلطان الجغرافية المسيحية وعضوا عليها بالنواجذ وكفّروا كل من لم يُدِنْ بها (١).

خامسا : الخواء الفكري الناتج عن المبادئ الدينية النصرانية التي لا يقبلها عقل ، وتتصادم مع الفطرة .

سادسا : القوى الخفية التي تدعم الأفكار المنحرفة لتحقيق مصالحها وأهدافها ، وأعني هنا الحركات اليهودية والمنظمات السرية التابعة لها كالماسونية وغيرها .

وهنا يتيسر علينا الإجابة على تساؤل عدم نشأة المذاهب الفكرية في المجتمعات الإسلامية ، فذلك لما تميزت به العقيدة الإسلامية التي تتوافق ومعطيات العقل ، ولا تتصادم مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، وللغنية الفكرية والروحية والعاطفية التي ورثها الإسلام أتباعه ، و لا ينسى في هذا المجال ما من الله تعالى به على هذه الأمة من حفظ الوحي المتضمن للكتاب الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعصمة الأمة في مجموعها من الضلال .

يقول الله تعالى (إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩) و الذكر هو القرآن والسنة .

و في الحديث الصحيح (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)

كيفية انتقال المذاهب الفكرية إلى العالم الإسلامي:

لم تنشأ المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي ، ولكنها انتقلت إليها ، وقبلتها بعض الفئات ، وذلك لأسباب داخلية وخارجية ، أذكرها هنا على سبيل الإجمال ، وذلك لضيق وقت الطلاب .

أولا : الأسباب الداخلية :

★ ① هجر شريحة كبيرة من المسلمين لدينهم ، سواء أكانوا حكاما أم محكومين ، و لا أعني بالهجر هنا الردة والكفر – والعياذ بالله – و إنما هجرة الأحكام والتشريع والآداب و الأخلاق .

وقد ورد التحذير من ذلك في قوله تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان:٣٠) .

★ ② إهمال فريضة التعلم ، فنتج عن ذلك شيوع الجهل في كثير من الميادين لدى كثير من قطاعات الأمة ، و يلحق به الأمية الدينية لدى كثير من المثقفين وأنصاف المثقفين ، و لا شك أن الجهل مرتع خصب لهذه الفيروسات الفكرية الضارة .

---

(1) ينظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٨،١٤٧ .

③ قصور الفهم لحقيقة الإسلام ، كفهم البعض له كعبادات و أخلاق و لا دخل له بنواحي الحياة الأخرى ، أو فهمه في ظل الموروث من العادات والتقاليد ، أو في ظل الطائفية كالجبري والإرجائي والاعتزالي ...إلخ .

④ بعض الطوائف الغير مسلمة الموجودة في البلدان الإسلامية ، خاصة التي أقامت علاقات سرية أو علنية مع البلاد المعادية للعالم الإسلامي و التي كانت تحتل أجزاء كثيرة منه .

⑤ التخلف الحضاري المدني والعمراني الذي أصاب أمتنا ، وجعلها ضعيفة تستجدي ما يمن به الغرب عليها بشروطه من منتجاته الحضارية .

⑥ فتنة قطاعات كثيرة ممن يطلق عليهم " نخبة المثقفين" بإفرازات الحضارة الغربية سواء منها المادي والفكري ن والمناداة بتبني منهج الغرب فكريا وسلوكيا .

ثانيا : أسباب خارجية ، وتتمثل فيما يلي :

١- الغزو العسكري الصليبي الاحتلالي لأقطار الأمة الإسلامية ، والذي جر معه البلاء على هذه الأمة ، و ترك أسوأ الآثار بعد رحيله ، وما زالت أمتنا تعانيه آثارا بل وعينا في بعض أقطارها الغالية .

② الغزو الفكري الثقافي الشامل للأمة الإسلامية ، والذي مارسه الغرب أمريكي على الأمة بخطط محكمة غاية الإحكام ، ولقد أثر هذا الغزو تأثيرا بالغا في قطاعات متعددة ومتنوعة من أبناء هذه الأمة.

③ الإرساليات التنصيرية التي تجيشها الكنيسة الغربية ويدعمها الغرب أمريكي ماديا ومعنويا .

④ البعثات التعليمية الوافدة من البلدان المسلمة إلى بلاد الغرب ، وقد عادوا بحمل بعير أو أكثر من الأفكار الغربية ، وأصبحوا تلاميذ أمناء للغرب و نظرياته و مذاهبه في بلادنا .

⑤ البعثات الدبلوماسية الغربية المتواجدة في بلاد المسلمين .

من وسائل انتقال المذاهب الفكرية :

ولقد انتقلت هذه المذاهب الفكرية للعالم الإسلامي بعدد من الوسائل . كان من أخطرها – ولا زال – التعليم والإعلام بوسائله والاحتلال الأجنبي والتأليف والنشر ، وعبر الجمعيات المتسترة تحت شعارات الأعمال الاجتماعية والإغاثية ، والأحزاب اللادينية ، والشبكة العنكبوتية ، وعن طريق خبيث ماكر جديد ألا وهو مقررات مجلس الأمن والأمم المتحدة ، بعناوين شتى كحقوق الإنسان والأقليات والمرأة والعاملين ...إلخ هذه الشعارات التي أصبحت مؤسستها العالمية تكيل بمكيالين ، للمسلمين بمكيال ، وللصهاينة وإن شئت قلت غير المسلمين بمكيال آخر !.

من آثار المذاهب الفكرية على المسلمين :

لم تعان الأمة ما عانته من أثر بالغ السوء من إفرازات المذاهب الفكرية على أفراد ومجتمعات ودول الأمة المسلمة .

*لقد أصبح الكثير مسلمين بلا إسلام ! كما أثر في انحراف أفهام الكثير من أبناء الأمة عن دينها وتاريخها وما عليها من حقوق نحو دينها وأمتها .

* كما كان له الأثر الفعال في تفريق الأمة وتحزيبها وجعلها طوائف يعادي بعضهم بعضا ، بل ويحارب بعضهم بعضا ، وتقطعت أوصال الأمة المسلمة ، وأصبحت لا تزن في ميزان القوى شيئا يذكر .

*ومن أخطر الآثار الانحلال الخلقي الذي دهم الأمة و حولها إلى قطاعات مفككة بسبب استفحال مرض الأنانية ، الذي أصبح دينا ألف باء المصلحة الخاصة ، ولو على حساب الغير .

*و لا يقلل من خطورة ما دهم الأسرة المسلمة من جراء هذه التيارات المتغربة ، ولولا ثبوت هذا الحصن في الجملة لضاعت الأمة .

*ومن أخطر الآثار ما لحق البعض من أبناء الأمة من الأفكار المسمومة والتي تريد أن يصبح الإسلام دينا كهنوتيا ، وللأسف يتجند بكل قوته في سبيل تحقيق هذا الهدف الغربي الفاحش ، ويتنازل عن شرفه و شرف قومه وأمته الذي لن يكون إلا في الاحتكام إلى شريعة الإسلام .

*و ليس من أثر أفحش من تطبيق القوانين الوضعية بدلا من أحكام الشريعة الإسلامية في كثير من الأقطار الإسلامية في أغلب مناحي الحياة .

* و لا ينسى هنا أن المذاهب الفكرية كانت من العوامل المساعدة في إسقاط الخلافة الإسلامية[1] .

أسس الفلسفة المادية ونقضها:

يمكن أن تقول بأن الفكر المادي ليس فلسفة ذات بال ، لأنها ليست ذات معنى يثبت أمام أدنى تفكير إنساني ، ولكن هذا الباطل – مع ضعفه و زيفه – يخيل للناس قوة و شيئا مذكورا ، وذلك ليس راجعا للمبادئ فهي من الهزال بمكان ، ولكن الآلة الإعلامية ، وأصحاب الأهداف المتسترين يزينون مع شياطينهم للناس هذا الباطل ويلبسونه ثوب الحق ، ويروجون له بالجنان المفقودة ، ويرجعون سبب

---

(1) يراجع مثلا كتاب " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " د / محمد محمد حسين ط / مؤسسة الرسالة ، وكتاب " أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية " أ / خادم حسين إلهي بخش . وغيرهما من الكتب .

فقدهـــا للدين وأهله ! ولقد أصيبوا – ونعوذ بالله من شر ما أصابهم – بضياع دينهم ، ولحقت به دنياهم بل و أرواحهم وعقولهم ! ولله الأمر من قبل ومن بعد .

كما أن ضعف وتفريط أصحاب الحق في حقهم ، و عدم إنكار هذا الباطل الزائف ، وعدم القيام بواجب الدعوة ، وأداء حقوق المسلمين ، كان عاملا مساعدا في تهيئة بيئة الباطل .

و لكـــن الســـؤال المطروح كيف ننكره ونحن لم نقف عليه ونفهم كنهه ؟ إن هذه المبادئ تهدم نفسها بنفســـها ، وتحمل عوارها في ثوبها ، وما تراه عيون المغرر بهم ماء ليس إلا سرابا ، حتى إذا وصل إلى حقيقته لم يجده شيئا ، وليته يرجع إلى الحق الذي أنزله الله تعالى .

وقوام هذه الضلالات الفكرية ، الحس و إنكار ما عداه ، وأن المادة المحسوسة غير مخلوقة بل أزلية ، و اعتبار المنهج الحسي في البحث والاستنتاج هو المعتبر لا غير .

وإليك أسس هذا الفكر – تفصيلا – أعرض الأساس ثم أردفه بما يهدمه .

<u>الأساس الأول :لا موجود سوى المادة . وهذا الأساس هو أصل الإلحاد في العالم .</u>

نقض هذا الأساس :

<u>أولا</u> : نقول لهم هل استقرأتم كل ما في الكون فلم تجدوا موجودا سوى المادة ؟

لا يمكن لعاقل أن يجيب بنعم ، بدليل أنه يكتشف في كل مدة كواكب جديدة لم تكن معروفة من قبل .

ثانـــيا : قد يقول المادي :إنني وغيري من العلماء بحثنا وفتشنا فلم نجد موجودا غير مادي . ونقول لهم ينبغي أن يكون قولكم : لا نعرف موجودا غير مادي . ونحن نقول لهم : عدم علمكم ليس علما بالعدم. أي عدم علمكم بوجود أشياء غير مادية لا ينفي بالضرورة وجود أشياء غير مادية . وحينئذ فينبغي أن يترك الباب مفتوحا لاحتمال وجود أشياء غير مادية .

<u>ثالـــثا</u>: قد يقول المادي: إنني لا أؤمن بشيء لا دليل عليه ، والذين يؤمنون بالغيب لا يقيمون أدلة على إيمانهم بذلك . ونحن نقول له ليس كل من يؤمن بالغيب لا يملك أدلة على ما يؤمنون به . بل المسلمون يملكون من الأدلة الكثير على كل القضايا التي يؤمنون بها.

<u>رابعا</u> : و إنا نسألهم سؤلا الآن : ما هي المادة التي تقولون لا موجود سواها ؟ قالوا قديما – كما يقول عوامهـــم اليوم – هي ما يدرك بالحواس . هذه هي المادة ، وهذا هو الموجود ، وما لا يدرك بالحواس فلـــيس بموجـــود .! ذلك لأنه غير مادي وذلك كالإله ، والملائكة ، والجن ، و عذاب القبر و نعيمه ، والجنة والنار...

ونحـــن نقـــول لهم : يلزم من هذا إنكار وجود أشياء حقيقية ضرورية لا يستطيع عاقل أن ينكرها . وذلك كالعقل والفكر والمشاعر ، بل الروح ، بل الكهرب الذي ندرك أثره ولا ندرك كنهه . فهذه أشياء حقيقية موجودة لا يستطيع أن ينكرها أحد .

خامسا : يتحذلق بعضهم فيقول : إن الفكر والمشاعر ، والعقل صورة من صور المادة . وهذا أيضا لا يخلصـــهم مـــن مـــأزقهم ، فـــإذا كان الفكر وهو شيء غير محسوس مادة ، فقد تكون المادة إذن غير محسوســـة ، ويكون هناك موجودات غير مادية . وهذا يُرَدُّ به على من يقول أيضا بأن هذه الأشياء – الفكر والمشاعر – أثر من آثار المادة ، فإنه يفيد وجود أشياء غير مادية .

كما أنا نقول لهم : إن هذا الكلام منقوض من وجه آخر . ألا وهو : هب أن هناك مادة مكونة من لحم ودم وعصـــب وسائر مكونات الإنسان المادية ، وسنصبها في قوالب إنسانية . السؤال فهل ستعطي هذه المادة عقلا، وفكرا، ومشاعر !! .

سادسا : نقول لهم إن العلم الحديث يتعامل مع أشياء لا يصدق عليها الوصف الذي يطلقه الماديون على المادة . فإن الذرات وجزيئاتها لا تدرك بالحواس . وبعض هذه الأشياء لا كتلة له ، ولا جرم له. وهكذا يحرج العلم الحديث الماديين .

بـــل إن الماديين هؤلاء يستخدمون استنتاجات عقلية ليست مادية ، ولا تدرك بالحس المباشر ولا غير المباشر ، و هذا الاستنتاج العقلي هو الذي يلزمهم بقضية وجود الخالق الذي لا تدركه الحواس ، ولكن للأسف لما يتعلق الأمر بقضية الإيمان بالله تعالى إذا هم ينكثون .

وبعـــد كـــل هذا أراد(لينين) – الملحد – أن يتفلت من هذا الحرج فقال قولا ظنه يخرجه منه – وما هو بمخـــرجه – قـــال : إن المادة هي الموجود الموضوعي . أي الموجود الذي لا يعتمد في وجوده على عقولنا ، ولا علمٍ وعينا به . ونحن نقول له : إن الله تعالى في عقيدة المسلمين لا يعتمد في وجوده على عقولنا ، أو وعينا به ، لأنه تعالى خالق الإنسان وخالق كل شيء-وكان الله ولم يكن شيء معه !! .

و هكذا من حيث لا يشعر ، بل من حيث يريد أن يهرب يلزمه قوله بالاعتراف بوجود الموجود الذي لا يعتمد في وجوده وبقائه على مخلوقاته ، وهو الله سبحانه وتعالى !.

الأساس الثاني : أزلية المادة . ويقصد بأزلية المادة : أنها لم تخلق و لن تفنى ، بل وغير قابلة للفناء ! بداية نقول إن من أطرف ما يذكره العلم الحديث الآن أن المادة حادثة. إذ أنها مخلوقة ، وأن الإلحاد لا يســـنده العلـــم التجريبي ، بل يهدم أسسه ، ويؤيد الإيمان بالله الواحد المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال . ولكننا مع ذلك نناقش هذا القول الجاهلي ونبدأ:

أولا : بتوجيه سؤال لهم هو ما هي هذه المادة الأزلية ؟ هل هناك مادة لا تفنى ؟ هل هناك مادة لا تقبل الفناء ؟

لقد ظنوها هذه النجوم والكواكب الضخمة والتي رأوها على حالها لا ينتقص منها شيء ولا تذبل كالشمس مثلا .!

وهذا قول قديم قاله بعض الجاهليين القدامى أمثال جالينوس وغيره .

رد العلامة أبو حامد الغزالي

قال أبو حامد الغزالي – ما معناه – : ادعى أصحاب هذا المذهب قديما من أمثال جالينوس وغيره أزلية المادة واستدلوا على ذلك بان الشمس كما هي لا تذبل والأرصاد دالة على ذلك أي على عدم نقصانها .

نسلم بأن الشمس لا تنقص

والرد على ذلك من وجوه : ١– عدم التسليم بأن الشمس كما هي لا تنقص . لأن هذا يحتاج إلى دليل يقيني . وهو ما لم يقل به أحد .

٢– أن الذبول أحد وجوه الفساد والنقص . وليس هو الدليل الأوحد على الفساد . فقد يفسد الشيء بغتة وهو على كمال حاله .

٣– لو سلم أنه لا فساد إلا بالذبول والنقص ، فمن أين لهم أن الشمس لا تنقص ؟ فقد تكون تنقص بما يوازي الجبال ولكن حس الإنسان لا يدرك هذا . فالياقوتة والذهب تنقصان في مائة سنة قدرا ما دون أن يشعر الإنسان أو أن يدرك ذلك بحواسه .وهي إذن تنقص في كل يوم قدرا معينا ، والإنسان قطعا لا يشعر به .

العلم الحديث ورد الإمام الغزالي .

قد كان كلام الإمام الغزالي – في عهده – احتمالا ، لكن المهم هنا أن ننبه إلى أن العلم الحديث يؤيده . فالعلم الحديث يقول : إن الشمس تتناقص ولو بقدر ضئيل جدا بالنسبة لحجمها . فإن كمية الطاقة التي ترسلها الشمس هي من العظم بحيث إن كتلة الشمس تتناقص بمعدل ٣، ٤ بليون كيلو جرام في كل ثانية ،وهذا قدر ضئيل جدا ، لأن تحويل ١% من كتلة الشمس من الهيدروجين إلى الهيليوم يمدها بطاقة تكفي لإبقائها مضيئة لمدة " ١،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ عام !!

يعتقد العلماء الآن أن كتلة الشمس قدر كتلة الأرض ٣٣٣٠٠٠مرة ، وأن قطرها قدر قطر الأرض ١٠٩مرة .

ويعتقد أن عمر الشمس ٤،٥ بليون سنة ، وأنها ستستمر في نشاطها هذا إلى ٤،٥ بليون سنة أخرى .

و معنى ذلك أن للشمس حتما بداية ولها نهاية ، لأن ما يحسب عمره لا بد أن يكون حادثا ، ويستحيل أن يكون أزليا .

ثانيا : نقول لهم : إذا كانت هذه الكواكب لها عمر ، أي لها بداية فهي إذن مخلوقة ، وحتما لها نهاية . فما هو الأزلي إذن ؟

أهـي عناصـر هـذه الأكوان ؟ لقد اكتشف العلم أن هذه العناصر مكونة من ذرات ، أي كل عنصر مركب من هذه الذرات الكثيرة .

فهل الأزلي هو هذه الذرات ؟

اعـتقد فلاسفة المسلمين قديما أن الذرات هي التي تتكون منها المخلوقات ، وأن الذرة جزء لا يتجزأ ، وأنها في الأصل مخلوقة . ثم جاء نيوتن ليؤكد هذا القول ، وأثبته بأدلته ، وهذا القول يهدم أزلية المادة ،ويبت أنها مخلوقة من مخلوقات الله تعالى .

ثالثا : دلالة الفيزياء الحديثة على أن المادة – بذراتها– مخلوقة.

لقـد أثبتت الفيزياء الحديثة أن الذرة نفسها مركبة من أجزاء (الإلكترون ، النيترون ، البروتون) ثم تبين أنها الأخرى مركبة من أجزاء ، وآخر ما عرفه الفيزيائيون ما يسمى بالكوراك .

فهل الكوراك هو المادة الأزلية إذن ؟ قد يظن ذلك ظان . ولكنه أوهى من سوابقه ، والرد على ذلك من وجوه :

١– القول بأن الكوراك مادة أزلية قول بغير علم ، إذ ليس في هذه الكواركات ما يدل على أزليتها وعدم تكوينها هي الأخرى من أجزاء أصغر منها .

٢– معلـوم أن الأزلـي – بالضرورة – قائم بنفسه ، مستغن عن غيره في وجوده واستمراره . والعلم الحديث يؤكد أن أجزاء الذرة قابلة لأن تتحول إلى طاقة ، وأن الطاقة نفسها قابلة لأن تتحول إلى مادة ،كمـا قال أنشتاين ، فتحولها يدل على عدم أزليتها لأنها في هيئتها كانت معتمدة على ظروف خارجية فلمـا زالت تلك الظروف تحولت .(وقد مثلنا لذلك باشتعال عود الثقاب)، إذن فهي ليست معتمدة في وجودهـا علـى نفسها بل على غيرها ، وهي إذن ليست قائمة بنفسها ، وكل ما ليس قائما بنفسه فهو مخلوق حادث وليس بأزلي .

رابعا : نظرية الانفجار العظيم . وهي نظرية حديثة أيدتها الأبحاث العلمية ، وقد أكدت هذه النظرية أن العالم مخلوق ، وليس بأزلي . بل أكدت هذه النظرية أن الزمان الذي وجدت فيه المادة حتما مخلوق .

و هكذا تفيد هذه النظرية بالضرورة أن الكون حادث مخلوق ، وأن له خالقا قديرا عليما حكيما .

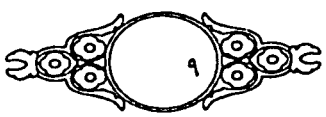

وبهـذا يـتقرر الأصل القرآني (وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص:٨٨) وقوله تعالى(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (الرحمن:٢٦) .

إن الفيزياء الحديثة بأبحاثها وتقنيات العصر لا تتردد في القول بأن المادة والطاقة كلاهما مخلوق من عدم ، بل إن الزمان و المكان حادثان مخلوقان ، وبتعبير القائل " إن الكون لم يخلق في زمان و مكان ، بل إن الزمان و المكان هما جزء من العالم المخلوق [١] " .

ويقول من يدعى بنيوتن العصر " ستيفن هوكنج " : إن أعظم سوء فهم للانفجار العظيم هو القول بأنه بـدأ مـن كـتلة من المادة في مكان ما من خلاء الفضاء . لم تكن المادة هي وحدها التي خلقت أثناء الانفجار العظيم ، بل إن الزمان والمكان أيضا خلقا ، و إذن فبالمعنى الذي يقال به : إن للمكان بداية ، فللزمان أيضا بداية [٢].

يعني : الكون به حدود شرطية الصرفة .

الأساس الثالث : يقول الماديون : كل ما في الوجود من أشياء تكونت بمحض المصادفة من حركات هذه المادة الأزلية .

نتوجه بسؤال لطلب الفهم – لإفحام الخصم – ما حقيقة الصدفة ؟ ما كنهها ؟ هل يعرِّفونها لنا بما يمكن أن يسلم العقل بأنها قادرة على الخلق ؟

وهـل هـذه الصدفة عاقلة ، ذكية ، سميعة ، بصيرة ، ذات استشعار ، ومقياس دقيق و... إذا كانت كذلك فأفيدونا و دلونا عليها ، و إذا لم تكن كذلك فلم الجدل بالباطل ؟ هلا أفقتم أيها الأدعياء ؟

إن القـول بالصدفة لا مكان له اليوم – ولا قبل اليوم – لأنه كان في فترة من الزمن مقولة يهرب بها الملحدون من أدلة الإيمان القطعية الملزمة بوجود الخالق الحكيم كنتيجة تلقائية للعلوم الكونية والبحوث الفيزيائية والرياضية و البيولوجية ، إن القائلين بنظرية الارتقاء والمدافعين عنها يقرون بهذا !

يقـول السير آرثر كيث :الارتقاء غير ثابت و لا يمكن إثباته ، ونحن نؤمن بهذه النظرية لأن البديل الوحيد هو (الإيمان ب) الخلق المباشر ، وهو أمر لا يمكن حتى التفكير فيه ... "[٣] .

ويقـول البروفيسـور " إيدون كونكلين " : إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة "حادث اتفاقي" شبيه في مغزاه بأن يتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة [١].

---

(1) ينظر تصميم الكون ص ١٢٣ ، نقلا عن الفيزياء ووجود الخالق د / جعفر شيخ إدريس ص ٩١ ط المنتدى الإسلامي .

(2) الكون ، بوزلو ص ٤٦ ، نقلا عن السابق .

(3) نقلا عن الدين في مواجهة العلم أ / وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ص ٢٧ ط / المختار الإسلامي ، القاهرة ط / الرابعة سنة ١٩٧٨م . ويراجع في هذا الصدد كتاب " الله يتجلى في عصر العلم " و كتاب " الإسلام والعلم " وغيرهما من الكتب ذات الشأن .

و تصديق هذا في كتاب الله تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل:١٤) .

إن الـتوازن المدهـش في الكون ، والتقدير المحكم للأحجام والأوزان وحركات الكواكب ، وقانون المسافات ، وقوانين الحياة ، وسنن الليل والنهار ، والبحار والأنهار، وقوانين تسيير الهرمونات وعملها وسـنن التزاوج بين المخلوقات ...إلخ يدحض تماما القول بالصدفة ، إنه كلام فارغ لا يمكن بحال أن يكون له وزن .

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان: ١ ،٢) .

و لنناقش بعد ذلك كعادتنا :

أولا : هـذا الأساس مبني على أن المادة مركبة في النهاية من ذرات ، وقد مر بك بطلان هذا القول ، وما بني على باطل فهو باطل .

ثانيا: بهدمنا الأساس الثاني – وهو أزلية المادة – يثبت العكس وهي أنها حادثة وتفنى ؛ وحينئذ يبطل كونها هي الموجدة لما في الوجود .

ثالـثا : هل يعقل أن تتكون مقالة مرتبة منسقة ، أو قصيدة منمقة من أحرف وكلمات ألقيناها في فضاء فتركبت وصارت قصيدة أو مقالة أو كتابا ؟ إن صح هذا عند العقلاء فقد يصح عندهم أن يتكون البشر ، والفيلة ، والنمل ، والزرافة من مجرد ذرات كانت هائمة في الفضاء سابحة على غير هدى فصارت برقبة طويلة ، وصارت هنا بزلومة ، وصارت هنا بأربع ، وهناك برجلين ، وهنالك زاحفة .

وهل تتكون عمارة صالحة للسكن من مجرد إلقاء أحجار بطريقة تلقائية بلا تصميم معين وراءها !! إن صح هذا عند العقلاء فقد يصح وجود ما في الكون بطريق المصادفة .

رابعا : من الطريف أن أحكي هنا قصة صغيرة مختصرة تفيدك في هدم مقولة الكافر الفاجر ، وهي أن ناسا في عهد أبي حنيفة زعموا أن الأشياء تكونت بالصدفة ولا خالق ، وطلبوا من يرد عليهم من أهل السـنة فجـاء الناس إلى الشيخ أبي حنيفة ، فعلاه كآبة من هذا القول ، فقال له أبو حنيفة : أنا أكفيكهم ، فـتواعد معهم في ساعة معينة ، وكان بينهما نهر – وكانوا في العراق – فتأخر أبو حنيفة عن الموعد المضـروب ، فكانوا يقولون تخلف لأنه لا يستطيع الرد ، فإذا به يأتي فبادروه بالسؤال : لم تأخرت ؟ فأجـابهم : لقد تأخرت لأن القارب الذي كنت أركبه لأعبر به النهر تفكك وكدت أغرق إلا أني تعلقت

---

(1) الإسلام يتحدى ص ٦٥ ، وقد ذكر ردودا ونقولا كثيرة جيدة في هذا المقام .

بلـــوح مـــن الخشب وقلت من ينقذني ؟ وبينما أنا كذلك إذ رأيت عجبا ، ماذا رأيت ؟ لقد رأيت الألواح الخشـــبية تتجمع في صورة معينة ، وبطريقة جيدة ، ويعلو بعضها فوق الآخر ويمسك به حتى صارت هذه الألواح المتفرقة قاربا جميلا متينا فركبته وجئتكم . فقالوا : أجننت أنت ؟ قال : ولم ؟ قالوا : كيف يتركـــب الخشب وحده ويصير قاربا هكذا ؟ قال : أتعجبون من هذا القارب الصغير أن يكون قد تركب من نفسه بنفسه ، فكيف بهذا الكون العظيم بسماواته وأرضه وأفلاكه ؟ فآمنوا جميعا .

خامســـا : هـــذه الـــنظرية مجرد افتراض وتخمين لا يسنده علم و لا برهان فكيف يبني عليها الإنسان تصـــوره للكـــون والحياة ! إن الماديين وتلاميذهم يتغنون بالعلمية وبراهينها فهاهم نطلب البرهان على دعواهم عساهم يأتون بدليل على ما يهرفون به .

وبمـــا ســـبق يرد على ادعاء الماديين أن خصائص الأشياء ما هي إلا خصائص مكوناتها الأولية بلا زيادة ولا نقصان .

الأساس الرابع : بناء على ما سبق يقول الماديون إذن فلا إله ولا ملائكة ولا جن .

أولا : مـــا قلناه في نقض الأساس الأول والثاني والذي انتهينا بعده إلى أن المادة مخلوقة ، وأن للكون خالقا عليما حكيما بالضرورة يبطل هذا القول .

ثانـــيا : إذا ثبت أن هناك مادة لا تُرَى فإن الملائكة والجن مخلوقات مادية ، الجنس الأول مخلوق من نـــور والثاني من نار – وكلا النور والنار مادة – وقد لا ندرك هذين الجنسين بحواسنا ، وعدم إدراكنا لهم لا ينفي بالضرورة استحالة أو عدم وجودهم .

ثالثا : ثبت أن المادة حادثة و مخلوقة ، بل وأن الزمان كذلك مخلوق و حادث ن والعقل يقول لابد لكل مخلوق من خالق ، ولكل حادث من محدث .

رابعا :إذا ثبت أن للكون إلها ، وثبت بالمعجزة الخارقة للعادة بعث الرسل للبلاغ عن الله تعالى ، و قد أخبرونا بوجود هذه المخلوقات ، وحينئذ فلا سبيل لإنكارها .

خامسا : نقول : إن كنتم لا ترونها فهل تملكون الدليل على عدم وجودها ؟ وقد سبق أن عدم العلم ليس علما بالعدم .

سادسا : هل كل ما لا يُرَى ليس بموجود ؟ الإجابة بأي نوع تورطهم حتى يسلموا .

الأساس الخامس : يزعم الماديون أنه لا بعث ولا حياة ولا نشور ولا حساب ولا جزاء .

أولا : ما الدليل على عدم إمكان البعث ؟ هل لديكم برهان يجعل ذلك مستحيلا ؟.

ثانـيا : نقـول لهم : هل هناك خلق أول ؟ أي سابق لهذا الخلق أم لا؟ إن الذي خلق الخلق الأول قادر على الخلق الثاني . هكذا ببداهة العقول .

ثالـثا : إن العقـول تلـزم بأن إمكان وقوع الآخرة يقتضي قبل كل شيء ألا يكون الإنسان والكون في شـكلهما الحالي أبديين ، وقد مر بنا آنفا بما لا يدع مجالا للشك استحالة أبدية الكون والإنسان ، و ثبت يقيـنا أن الإنسان يموت ، وقد حاول العلماء الطبيعيون أن يجيبوا عن سؤال : لماذا نموت ؟ و تعددت الإجابـات ، ولـم ينتهوا إلى إجابة مادية مقنعة ، فحتما الموت واقع والكون فان طبقا لقانون " الطاقة المتاحة " [1] فإذا كان هذا لا يماري فيه إنسان ، فإن إمكان حصول الآخرة مقبول عقلا .

رابعا : ألا يسأل العلماء الطبيعيون – بل وكل إنسان – لماذا خلق الله هذا الكون ؟ ولماذا خلقنا فيه ؟ و إذا كانـت لـنا حـتما نهاية فهل يستوي الظالم والمظلوم ؟ والذي أفادت البشرية من علمه بالذي دمر الملايين بغطرسته ؟ هل يمكن أن يقبل عاقل ذهاب الهارب من القانون دون جزاء ؟ والقاتل دون عقاب ؟ وقد اعترف العلماء بوجود إله حكيم بدت حكمته في مخلوقاته ، فهل يمكن أن يترك الإله هؤلاء ؟

إن الإيمان بالآخرة ضرورة كونية وإنسانية وأخلاقية .

و لتقرع هذه الآيات آذاننا بنوع تدبر لها : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (المؤمنون:١١٥،١١٦)

و يقـول تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِـنَ الـنَّارِ *أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص:٢٧،٢٨) .

خامسا : نسوق إليهم هذه الآيات التي ذكرت أدلة دامغة للمنكرين للبعث و الحياة بعد الموت.

يقـول الله تعـالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (يـس:من ٧٨ – ٨١) .

يقول صاحب الظلال : فما النطفة التي لا يشك الإنسان في أنها أصله القريب ؟ إنها نقطة من ماء مهين ، لا قوام ولا قيمة ! نقطة من ماء تحوي ألوف الخلايا . . خلية واحدة من هذه الألوف هي التي تصير جنينا . ثم تصير هذا الإنسان الذي يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل !

---

(1) ينظر الإسلام يتحدى ص ٧٢ وما بعدها .

والقدرة الخالقة هي التي تجعل من هذه النطفة ذلك الخصيم المبين . وما أبعد النقلة بين المنشأ والمصير ! أفهذه القدرة يستعظم الإنسان عليها أن تعيده وتنشره بعد البلى والدثور؟

وضـــرب لنا مثلاً – ونسي خلقه – قال:من يحيي العظام وهي رميم . قل:يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. .

يا للبساطة ! ويا لمنطق الفطرة ! ومنطق الواقع القريب المنظور !

وهـــل تـــزيد الـــنطفة حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم الرميم المفتت ؟ أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان؟ أو ليست هذه هي النشأة الأولى ؟ أو ليس الذي حول تلك النطفة إنساناً ، وجعله خصيماً مبيناً بقادر على أن يحول العظم الرميم مخلوقاً حياً جديداً ؟

إن الأمر أيسر وأظهر من أن يدور حوله سؤال . فما بال الجدل الطويل ؟!

قل:يحييها الذي أنشأها أول مرة . وهو بكل خلق عليم

ثم يزيدهم إيضاحاً لطبيعة القدرة الخالقة ، وصنعها فيما بين أيديهم وتحت أعينهم مما يملكون:

الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون. .

والمشاهدة الأولية الساذجة تقنع بصدق هذه العجيبة ! العجيبة التي يمرون عليها غافلين . عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء ، يحتك بعضه ببعض فيولد ناراً ؛ ثم يصير هو وقود النار . بعد الليونة والاخضـــرار . . والمعـــرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التي يختزنها الشجر الأخضر من الطاقة الشمسية التي يمتصها ، ويحتفظ بها وهو ريان بالماء ناضر بالخضرة ؛ والتي تولد النار عند الاحتكاك ، كمـــا تولـــد النار عند الاحتراق . . هذه المعرفة العلمية تزيد العجيبة بروزاً في الحس ووضوحاً .

والخالق هو الذي أودع الشجر خصائصه هذه . والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . غير أننا لا نرى الأشياء بهذه العين المفتوحة ولا نتدبره بذلك الحس الواعي .

فـــلا تكشـــف لنا عن أسرارها المعجبة . ولا تدلنا على مبدع الوجود . ولو فتحنا لها قلوبنا لباحت لنا بأسرارها ، ولعشنا معها في عبادة دائمة وتسبيح !

ثم يستطرد في عرض دلائل القدرة وتبسيط قضية الخلق والإعادة للبشر أجمعين:

أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم . .

والســـماوات والأرض خلـــق عجيـــب هائل دقيق . . هذه الأرض التي نعيش عليها ويشاركنا ملايين الأجناس والأنواع ، ثم لا نبلغ نحن شيئاً من حجمها ، ولا شيئاً من حقيقتها ، ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القلـــيل . . هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التي تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها . . وهذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا ، والتي تؤلف

دنـــيانا القريبة ! وفي الكون مجرات أخرى كثيرة . أو دنييات كدنيانا القريبة . عد الفلكيون حتى اليوم مـــنها مائـــة ملـــيون مجـــرة بمناظيرهم المحدودة . وهم في انتظار المزيد كلما أمكن تكبير المناظير والمراصد . وبين مجرتنا أو دنيانا والمجرة التالية لها نحو خمسين وسبع مائة ألف سنة ضوئية [السنة الضوئية تقدر بستة وعشرين مليون مليون من الأميال !] . . وهناك كتل ضخمة من السدم التي يظن أنه من نثارها كانت تلك الشموس . وهذا هو الجزء الذي يدخل في دائرة معارفنا الصغيرة المحدودة ! تلـــك الشـــموس التي لا يحصيها العد . لكل منها فلك تجري فيه . ولمعظمها توابع ذات مدارات حولها كمدار الأرض حول الشمس . . وكلها تجري وتدور في دقة وفي دأب . لا تتوقف لحظة ولا تضطرب . وإلا تحطم الكون المنظور واصطدمت هذه الكتل الهائلة السابحة في الفضاء الوسيع . .

هـــذا الفضـــاء الـــذي تســـبح فيه تلك الملايين التي لا يحصيها العد ، كأنها ذرات صغيرة . لا نحاول تصويره ولا تصوره . . فذلك شيء يدير الرؤوس !

أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟. .

وأين الناس من ذلك الخلق الهائل العجيب ؟

بلى ! وهو الخلاق العليم. .

ولكن الله – سبحانه – يخلق هذا وذلك ويخلق غيرهما بلا كلفة ولا جهد . ولا يختلف بالقياس إليه خلق الكبير وخلق الصغير:

إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له:كن . فيكون. .

يكـــون هـــذا الشيء سماء أو أرضا . ويكون بعوضة أو نملة . هذا وذلك سواء أمام الكلمة . . كن . . فيكون !

لـــيس هناك صعب ولا سهل . وليس هنالك قريب ولا بعيد . . فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون . إنما يقرب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود .اهـــ

<u>تنبيه</u> : نجد في هذه الآيات أدلة ثلاثة ملزمة :

الأول : دليل الخلق الأول المشاهد الملموس الواقع الذي لا يستطيع أحد إنكاره .

الثاني : دليل الخلق من الضد ، من الشجر الأخضر الذي يجري فيه الماء يخلق نارا ، كذلك يخلق من الموت حياة ، ويخلق من الحياة موتا .

الثالث : دليل الخلق الأكبر المشاهد ، يدل على قدرة خلق الأصغر منه بلا شك ، المصنع الذي يصنع الـــباخرة التـــي تمخر عباب البحر وتحمل فوقها الأطنان وتجوب المياه آلاف الأميال ، هل يتصور ألا يصنع مسمارا صغيرا ؟!.

الأساس السادس : قالوا إن المكون لطبائع الأشياء وخصائصها هي المادة ، ولا شيء سواها .

أولا :هـذا لقول قائم على افتراض أن المادة مكونة من ذرات أزلية لا تقبل التجزئة ، وقد سبق بطلان هـذا القول ، وما بني على باطل فهو باطل ، وبهدمنا الأساس الأول والثاني والثالث يهدم هذا الأساس تلقائيا.

ثانـيا : نقول لهم : إن المادة لها خصائص معينة ، فإذا ما ضممنا مادة إلى أخرى أصبح لهذا المكون الجديد خصائص أخرى .

توضيح ذلك : الحجر في حد ذاته له خصائصه المميزة له ، فإذا ما صممنا عمارة وقمنا ببنائها من هـذه الأحجـار أصـبح للعمارة خصائص جديدة تماما ، إذا ما قمنا ببناء قنطرة من هذه اللبنات كانت خصـائص القنطرة غير خصائص العمارة حتما فالأولى صالحة للسكن ، ولتدبير المعاش ، والاستتار مـن الحر والبرد ، وستر العورات .... ولكنها لا تسعفنا كقنطرة نعبر بها من بر إلى آخر . فالتنظيم والتصميم هو الذي ميز كلا بخصائصه .وليست المادة بمفردها .

ثالثا : بالإضافة إلى التصميم والتنظيم فهناك العلاقة الناشئة بين الأشياء المكونة ، وهذه العلاقة لا يمكن أن توجد في الشيء الواحد المستقل . مثال ذلك الساعة فلو فصلنا أجزاءها ما أعطتنا خصائص الساعة ،ولا يعطي أي جزء من مكوناتها خاصية الساعة . فكيف تكون المادة هي المكونة لخصائص الأشياء .

رابعا : لا يمكن أن يكون الشيء هو الخالق والمخلوق في نفس الوقت ، فالمادة إما خالقة وإما مخلوقة ، وقد ثبت أنها مخلوقة وحادثة ولم تنشئ ذاتها ، ولم تكون نفسها ، إذن فقد خلقها خالق وكونها مكون ، وهذا عين ما قاله عالم الطبيعة الأمريكي " جورج إيرل ديفيس " يقول : لو كان يمكن أن يخلق نفسه ، فـإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق ، و في هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله.. وهكذا ننتهي على التسليم بوجود (الإله) ، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا : إلها ماديا وغيبيا في آن واحد !! إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي ، وهو ليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومديره ومدبره ، بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات [1].

---

(1) الإسلام يتحدى ص ٧١ .

الأساس السابع : يقول الماديون : كل ما نسميه عقلا أو نفسا أو روحا أو فكرا إنما هو شكل من أشكال المادة .

أولا : إذا كـــان المقصـــود أن العقـــل والنفس أشياء مادية محسوسة فهو كلام غير صحيح ،وإن كان المقصود أنها أشياء متصلة بالمادة ، فهو صحيح ، ولكنه لا يخدم الماديين في قضيتهم ، لأنها في النهاية أشياء غير مادية – محسوسة _ وهي موجودة .

ثانيا : نقول لهم : هل يلزم من وجود هذه المادة – التي هي هنا لحم ودم وعصب – وجود نفس وعقل وفكر وروح ؟ الإجابة بلا قطعا . وهذا يبطل قولهم . وهل كل مادة بها روح لها فكر وعقل ؟

الأساس الثامن : يقول الماديون : إن تشكيلات المادة وحركاتها كلها خاضعة لقوانين طبيعية لا تختلف ، وبهـــذا تفســـر سائر الظواهر الطبيعية ، والحالات النفسية ، والحوادث التاريخية ، من غير حاجة إلى افتراض قوة وراء الكون تحفظه وتسيره .

أولا : لقـــد ثبت أن المادة حادثة ، وأنه لا بد لها من خالق لها قديم أزلي ، وما دامت المادة حادثة فمن باب أولى قوانينها وصفاتها حادثة ، إذ لا يمكن أن توجد الصفة قبل الموصوف ، كما لا يمكن أن توجد الصفة الموصوف !.

ثانيا : إذا ثبت وجود هذا الخالق – وهو ثابت – فإن ما يسمى بالقوانين الطبيعية التي تحكم سير الكون إنمـــا هي عادة الله تعالى في الكون وهو ما يسمى بسنن الله تعالى في الكون ، وهذه السنن ماضية ، لا يمكن لأحد أن يوقفها أو أن يعطلها ، وهي لا تقف لأحد كما أنها لا تعمل بإذن أحد (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)(فاطر: من الآية٤٣)

وأخرج الشيخان بسندهما عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ، فَقَالَ النَّاسُ : كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ "[1] .

ثالـــثا :إذا كانـــت هذه السنن مطردة فإنما يدل ذلك على أن الله تعالى لا يغير من عادته ، وقد تتخلف أحيانا لتدل على أن هذه السنن ليست هي الفاعلة بنفسها ، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله تعالى . وما نراه ونشـــاهده في الكون إنما يدل حتما على أن هذه السنن غالبا ما تطرد ولكنها قد تتخلف لأنها مأمورة لا تملك هي بنفسها تسيير نظام الكون ، وإنما الفاعل الحقيقي والمدبر لأمر الكون هو الله تعالى .

---

(1) البخاري كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس ، ومسلم كتاب الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف.

الأساس التاسع:المادية مذهب علمي:

أولا : هذه دعوى بغير دليل .

ثانيا : العلم التجريبي الذي كان يتخذه الماديون تكأة أصبح مورطا لهم كاشفا لزيفهم ، وأظهر أن المادية إنما تعتمد على ظنون وأوهام لا تغني من العلم والحق شيئا ، وقد سبق بيان هذا بشيء من التفصيل في نقض الأسس السابق ذكرها .

الأســـاس العاشر : يقول الماديون: إن الإنسان سيد نفسه ، ومالك مصيره ، فهو وحده المسئول عن أن يشرع لنفسه في كل شؤون حياته .

أولا : نقول : هذا كلام لا يصح لأن الإنسان لو كان سيد نفسه – كما يزعمون – لكان اختار أن يجيء في هذا الكون بالطريقة التي يحبها ويهواها ، ولعدل الظروف المناخية والاقتصادية و...كما يشتهي .

ثانيا : هذا الكلام مبني على أساس أنه لا إله موجود ، وقد ثبت عكس ذلك تماما ، فبطل ما أدى إليه ، وهو استغناء الإنسان عن تشريع الله تعالى، وقد جربت البشرية تشريعاتها لنفسها – في مواطن كثيرة – فماذا كانت النتائج ؟ الشقاء وفقط .!!

وبعد فهل تحقق المادية إنسانية الإنسان ؟ أم أنها تهدر كرامته ؟ إن الإنسان في تصورها هذا السابق حيوان يعيش ويأكل بلا هدف ولا غاية ، ويستوي الخير والشرفي حياته ، والقوي الذي ظلم وفتك وفعل الأفاعـــيل وهـــرب من القانون أو طوعه لهواه بطل يحتذى فعله . فمن ذا الذي يحاسبه ؟ ومن ذا الذي يـــأخذ حق الآخرين منه ؟ ثم إنها مع كل هذا تجعل الإنسان يحيا منفصما مع نفسه ومع الآخرين . فهل في الإلحاد من نفع ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

إن الواقع والتاريخ شاهدان بتفاهة الفكر المادي وسقوطه رغم زيوفه و زينته.

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (الأنبياء ١٨).

تفرض على من يلي أمر المسلمين أن يلتزم بما صنعه الرسول من سلوك كهذا تجاه من لا يجد عملا، وأن عليه أن يأخذ من الفعل الذي أسسه الرسول ﷺ منهاجاً له يقول ﷺ: «مامن مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والأخرة، إقرأوا إن شئتم قول الله «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه»[1].

وترجمة هذه القواعد النبوية التي تحدد وظيفة الحاكم المسلم إقتداء وإهتداء بما فعله ﷺ:

هي أن من ترك أولاد صغاراً ضعافاً ولا نفقة لهم ولا مال يسد حاجتهم ويأوهم فإن نفقتهم في رقبة الحاكم المسلم.

وإن الغارمين كل الغارمين بغير ربا بمباشرة البنوك وأموال التأمينات إن وقع بهم الكرب وتعرضوا للغرم فإن هؤلاء جميعاً يعيشون في كفالة الإسلام وحمايته بغير من ولا أذى.

ويروي الترمذي حديثاً وسع فيه رسول الله ﷺ دائرة الكفالة في الإسلام حتى تتأكد المساواة الإجتماعية للمسلم في مجتمع يؤمن بالله ويقيم أحكامه، مساواة تختلف بل وتتناقض مع مفتريات التحديات المطروحة في زيف المذهبية الإشتراكية.

يقول ﷺ (إن في المال لحقاً سوى الزكاة) بهذه الضمانات يختلف الإسلام تماماً، بل ويتناقض مع كل مقررات الإشتراكية ومزاعمها، لأن هذه المناهج الإسلامية ترتبط بعقيدة وتقوم حين تطبق في ظل

(١) رواه أصحاب الصحاح.

خشية من رب العالمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

وهذا الحق الذي ورد في حديث الرسول ﷺ ترك الباب مفتوحاً لكل القادرين والموسرين من أرباب الخشية من الله لكي يدلوا بدلوهم ويساهموا في تحقيق الدور الذي يقوم الحاكم المسلم تجاه أبناء الإسلام، إذا اشتدت بها الأيام أو داهمهم خطب أو حلت بهم محنة

الإسلام يدحض مقولات الفكر المادي

كان بوسع فلاسفة الفكر المادي منذ مائة عام أن يستغلوا بعض ما سمي بالقوانين العلمية وقواعد بعض المكتشفات الكيمائية وبعض إجتهادات علوم التاريخ ويلقوا بأطروحات قد تخدع بعض البسطاء والعامة من الناس حول: المادة والتطور والثبات والتغير والصيرورة وخصائص بعض التفاعلات وعلاقة بعض المؤثرات وبعضها الآخر، فكان من المتصور أن تخدع بعض أولئك الذين خلت قلوبهم وعقولهم من زاد الثقافة الإسلامية، فضلاً عن خلوها عن مناعة الإيمان الصحيح..

واليوم وبعد أن أجرى الله الخالق على يد عباده المخلوقين معرفة بعض أسراره في خلقه من الناس والحيوان والكون حتى غدت هذه الأسرار براهين تدحض كل مفتريات وأطروحات الماديين والملحدين وغيرهم: فإن موقف الماديين أصبح تافها للغاية.

وكانت بداية المجابهة التي انهزم فيها الماديون ولم يعد من المستساغ المكابرة واللجاجة الممجوجة التي يلجأ إليها الماديون بل انهزم مفكروهم قبل المجابهة بالفعل حين قدم بعض علماء المسلمين آيات

ومشاهد مما في كتاب الله تعالى تدحض مفترياتهم فلم تخشع لها قلوب الماديين ولم يتدبروها، ومن ثم فلم يعقلوها.

وكانت بعض هذه الآيات التي إمتلأ بها الذكر الحكيم تكفي جداً باعتبارها برهاناً وآية من الله لخلقه، ولكنهم كانوا غير مستعدين لفهم مثل قوله تعالى في سورة الواقعة:

أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون؟» وقوله تعالى في سورة الطور «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون»

وقوله سبحانه في سورة الروم:

«ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون»

وقوله تعالى في سورة الطارق:

«فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب»

وكانوا إذا ساق لهم عالم بكتاب الله برهاناً من الله من مثل قوله- تعالى: «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون».

فإنهم كانوا إذا تأدبوا وجدوا- وإن كان الأدب والخلق ليسا من شيم الماديين لأنهم لا يعترفون بهما- يأكلون شفاههم في وضع مقيت ممجوج أو يلوون عنقهم وينصرفون.

واليوم وبعد عصر الذرة الذي جاء في أدق معطياته ومقرراته نيضيف إلى آيات الذكر الحكيم التي تستهدف الفطرة السوية

فتقويها وتدعمها حتى تقوي بآيات ربها تفاصيل ومعلومات ومفردات كأنها بسنن الله فيها كآيات وبراهين هذا الخلق الكبير ما جاءت وما عرفت إلا لكي تشرح وتتوسع في تفصيل ما توحيه آيات الله في محكم كتابه الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

مرة ثانية ما رأى الماديين الملحدين الذي يرون أن الفكر والوعي ما هما إلا من نتاج المادة؟ أقول ما رأيهم بعد أن سقنا بعض آيات الله القرآنية في بعض آيات الله الكونية التي خضعت لسننه وقوانينه سبحانه في خلقه.

ما رأيهم في أن ننظر معاً إلى الإنسان ذلك المخلوق الذي هو موضوع الخلاف بين الماديين والمؤمنين والذي سبق أن ضربنا من وحدة بنائه مثالاً، وهو: الخلية التي هي البناء الحي في كل مخلوق، هل علم علماؤهم بدهيات علوم الحياة عن الخلية.؟ وهل علموا أن كل خلية تدثر نفسها بجدار رقيق غير حي، يحدد لها شكلها وكيانها، ثم يحيط بها من داخل هذا الجدار غشاء حي شفاف رقيق غاية الرقة هو الذي يتحكم في دخول جزئيات إلى الخلية، أو خروج جزئيات منها.(١)

وهل عرف علماؤهم بعد أن دخلوا بوسائل العلم إلى داخل جدار الخلية أنهم وجدوا ساحة تتكدس فيها بلايين فوق بلايين من الجزئيات المختلفة، وأن لهذه الجزئيات أقدار في عالم له حدود. فمنها ما هو صغير لا يزيد على كونه ذرتين (كجزئيات ملح الطعام)

(١) (أ. كريسي موريسون) (العلم يدعو للإيمان) مترجم. ص. ١٢٨.

أو ثلاث ذرات «كجزئية الماء» أو أربعاً، أو عشر، أو مائة أو ألفاً، حتى نصل إلى جزئيات يتكون كل منها من عشرات الألوف من الذرات (مثل الجزئيات البروتينية والوراثية).[1].

وفي هذه الساحة تتفاعل آلاف أنواع من الجزئيات في وسط مائي لتبني أنواعاً وتهدم أخرى، حسبما تتطلبه عمليات الحياة، وكأن في داخل هذه الساحة الدقيقة مصنعاً كيمائياً حيوياً تجري فيه العمليات بسرعة وكفاءة تعجز أمامها إمكانات البشر وكل علوم البشر، فلا يستطيع علماء الكيمياء الحية حتى اليوم أن يبنوا جزئياً بروتينياً متوسطاً في حين أن الجزيء نفسه في داخل خلية حية لا يمكن تصنيعه إلا في ثواني معدودات.

وهل عرف علماء الفلسفة المادية أن هضم الغذاء أي تحويله من مادة صلبة معقدة إلى أخرى سائلة سهلة الإمتصاص بعمليات دقيقة غاية الدقة تقوم هي الأخرى برهاناً على دحض مغترياتهم. فكل ما يأكله الإنسان من صلب وجامد وسائل ولزج ومر وحلو وثقيل وخفيف وساخن وبارد كلها تهضم بمواد واحدة وطريقة واحدة، وهكذا المواد التي يتغذاها الإنسان على إختلافها، يتلقاها جسم الإنسان فيدفعها في طريقها عليها لتصب عليها الغدد إفرازاتها الحمضية وعصارتها فإن التركيب المقدر الذي لو قل قليلاً لما هضم ولو زاد زيادة طفيفة لاحترق الجسم.

هل يعرف العلماء الماديون ما عرف مؤخراً منذ سنين قليلة فقط عن وظائف الغدد المسماة بالغدد الصماء. تلك المعامل الكيماوية

(١) : (عبد الرزاق نوفل) (الله والعلم الحديث).

الصغيرة التي تمد الجسم بالتركيبات الضرورية، والتي من قوتها أن جزءاً من بليون جزء منها لو اختل لأحدث آثاراً في الإنسان وهي مرتبة بحيث أن إفراز كل غدة يكمل إفراز الغدة الأخرى وإن أي إختلال في إفرازها قد يبلغ حد الخطوزة إذا دام مدة من الزمن.

هل فكر العلماء الماديون في وضع الجنين في بطن أمه كيف يتغذى وكيف يتنفس وكيف يقضي حاجته وكيف تفرز أجهزته وكيف روعي في الحبل السري الذي يربطه بأمه ليتغذى به أن يحقق غرضه بلا طول، قد يسبب تخمر الغذاء فيه قبل وصوله إلى الجنين، أو قصر قد يؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه.

أفلا تقف هذه البراهين الكونية شارحة وموضحة ومفصلة المجمل في آية من كتاب رب العالمين في سورة الواقعة:

«أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون»

وقوله سبحانه:

«أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون»

وسؤال آخر يطرح أمام الماديين القدامى والمحدثين ليرد عليهم أطروحاتهم مقلوبة على رؤوسهم ومنهارة في أدمغتهم: من علم النحل كيف يصمم ويهندس ويبني وينسق؟ ويعرف الدارسون أنه في أثناء العمل يتوزع العمل بين مجموعات إنتاج ومجموعات حراسة. بل من علم النحلة الإهتداء إلى خليتها، حتى ولو طمست الريح أمامها كل دليل؟ ومن أوحى إليها أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. أليس هو رب العالمين خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

وفي معرض الأدلة والبراهين التي تدحض كل مكابر وتخرس كل أولئك الذين يهرفون بما لا يفقهون. يقول الدكتور يوسف القرضاوي. في معرض البراهين التي ساقها في التدليل على وجود الخالق سبحانه « من علم الأنثى من الفيل إذا دنا وقت ولادتها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه، لأنها دون الحيوانات لا تلد إلا قائمة لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان، فتخاف أن تسقطه على الأرض فيتصدع أو ينشق، فتأتي ماء وسطاً وتضعه فيه يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم. ومن علم العصفور إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء، فيطيرون حول الفرخ، ويحركونه بأفعالهم، ويحدثون له قوة وهمية وحركة حتى يطير معهم؟.

ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرقيقة المحكمة وتجعل في أعلاها خيطاً ثم تتعلق به فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة دخلت إليها فاصطادتها.

ومن علم الثعلب إذا إشتد به الجوع أن يستلقي على ظهره ويحبس نفسه إلى داخل بطنه حتى ينتفخ، فتظن الطير أنه ميت فتقع عليه، فيثب على من انقضى عمره منها(١)

والآن: وبعد مثل هذه النماذج هل يستطيع مادي جاهل أو متجاهل أن يقول إن كل ما ذكرت إنما هو بفعل الغريزة، فما هي هذه الغريزة التي لا تعدل ولا تبدل في أداء المهام التي تقوم بها وفق

(١) : (دكتور يوسف القرضاوي) في كتابه. (وجود الله) ص ٥٨ مكتبة وهبة القاهرة- الطبعة الأولى عام ١٩٧٩.

سنن مطردة لا تختلف أبداً. ولماذا تكون غريزة ولا تكون: هداية، من الخالق سبحانه فالق الحب والنوى: خالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم)(١)

وسؤال أخير نطرحه أمام فلاسفة الفكر المادي والمحدثين ولعل في عجزهم عن الإجابة عليه ما يلقم أولئك المتشدقين بأفكار المادية الجدلية حجراً، ويدفعهم إلى التدبر، ولعل الله في نهاية الأمر أن يأخذ بأيديهم فتصح فيهم فطرة الله وتطهر من دنس المادة وأوشابها بعدما جعلتهم المادية في الدرك الأسفل من الإدراك وحجبت عنهم إمكان النظر والتدبر.

يعرف الماديون وخاصة العلماء منهم أن جامعة موسكو ابتكر علماؤها الماديون، آلة لالتقاط وقياس الذبذبات تحت الصوتية، وهذه الآلة فيما زعموا لها تستقبل وتلتقط أخبار الفيضانات والزلازل وما أشبهها من الكوارث قبل حدوثها فيما أدعوا، وبزعمهم أيضاً فيما يقولون: إنها أي هذه الآلة أقوى من الآلات المستعملة خمس مرات.

هل يعلم أولئك العلماء أن الله سبحانه أودع بين بعض مخلوقاته من الخصائص ما يقوم بأكثر من هذه المهام التي يزعمونها لآلتهم.

هل يعلمون أن من بين أنواع « السمك » سمك قنديل البحر الذي يسمى « هلامى » هل يعلمون أن له حساسية وهو في أعماق البحر تحس بالذبذبات تحت الصوتية؟ وسبحان الله الذي أودعه هذه الخاصية، هل يعقل أن آلة القياس التي صنعها علماء جامعة

(١) سورة الأنعام: ٩٦

موسكو كان يمكن لها أن تقوم بعملها المزعوم، لولا ذلك المؤثر الخارجي الذي ألف بين عمل العناصر والآلات وخصائص المركبات، فلهم وبال كل أولئك الملاحدة من مشركين وعلمانيين وماديين لا يقفون شاكرين عاجزين أمام عظمة وقدرة الخالق جل وعلا، الذي أودع خلقه من الأسرار ما يعجز عن إدراكه بعض خلقه: وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه في سورة الحج:

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب).

وصدق الله العظيم الذى يقول في سورة القيامة:

(أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من منى يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى).

نعم قادر سبحانه على أن يحيى الموتى:

ومن هنا وجب على علماء الإسلام أن ينتبهوا لتحديات الفكر المادي ومغالطاته، وأن يدركوا أنه من اليسير كشف زيف دعواه ومعتقداته. لكن ذلك يحتاج إلى خطة وإلى منهج مدروس، إن على الذين يتصدون لرد هذه الدعوة المضللة، وإبطال مفعولها الذي ينفذ إلى عقول كثير من الشباب- أن يضعوا في موازين الدين، ما فيه من خير معجل للناس، هو أعظم، وأكرم، وأنفع للناس في دنياهم مما يقدمه الماديون والملحدون، فضلاً عن الثمرات الطيبة التي يجنيها المؤمنون في الآجل الموعود- به من الله في الحياة

الآخرة، مما لا يعد ما في هذه الدنيا كلها شيئاً يعادل أقل القليل منه..[1].

فالإسلام، إذ يدعو الناس إلى الإيمان بالحياة الآخرة لا يحرمهم شيئاً من طيبات هذه الحياة الدنيا، بل إنه يطلق كل قوى الخير فيهم ليعملوا جادين في كل ميدان من ميادين الحياة وليقطفوا من ثمرات عملهم وجهدهم كل طيب، دون حرج من الدين الذي يقول الله تعالى فيه:

« وما جعل عليكم في الدين من حرج »

فإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى الإيمان بالحياة الآخرة، فإنه لا يدعو إلى الكفر بالحياة الدنيا، ولا يقيم في نفس المؤمن عداوة بينهما، بل إن الإسلام يزكي العمل للدنيا والآخرة معاً، ما دام هذا العمل قائماً على طريق الحق، والخير والإحسان..

فأي شيء من طيبات هذه الدنيا حرمه الإسلام على الناس؟ وأي عمل طيب لم يدع الناس إليه، ويعدهم بالجزاء الحسن عليه في الدنيا والآخرة؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى:

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » (١٧٢: البقرة)؟ وألم يقل جل شأنه:

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٨٧: المائدة)

---

(١) الأستاذ عبدالكريم الخطيب في بحثه المعنون « الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام » عام ١٣٩٦- مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود في مؤتمر الفقه الإسلامي الأول.

وألم يقل تبارك إسمه:

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة » (٣١: الأعراف)..

ثم ألم يقل عز من قائل:

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٩٧: النحل).

•

فأي قوة من قوى الإنسان الخيرة لم يطلقها الإسلام؟ وآية وغبة من رغبات الإنسان الشريفة الكريمة وقف الإسلام حائلاً دونها؟

إن الإسلام إذ رسم للإنسان حدوداً لا يتعداها الإنسان، وإذ وضع على طريق مسيرته في الحياة معالم لا يخرج عنها، فما ذلك إلا لضمان سلامة الإنسان في تلك المسيرة ووقايته من شهوات نفسه المتسلطة عليه، والتي قد تقوده إلى الهلاك، أو تلبسه الشقاء الدائم في حياته قبل آخرته..

فإذا أطلقت المادية للإنسان كل عنان، وأخلته من كل قيد يقيد المرء به في نفسه وفي مجتمعه من عادات، وتقاليد، ومعتقدات، فإنها لم تفعل أكثر من أنها عرت الإنسان من إنسانيته، ودفعت به إلى عالم البهائم، لا يرتفع نظره إلى أكثر من مواقع قدميه، ولا يعيش إلا للحظته التي هو فيها، وليأت بعد ذلك الطوفان، وليكن ما يكون وهذا ما لا يقبله عقل عاقل، ولا يرضى به إنسان فيه بقية من الإنسانية.

وإنه ليكفي أن نأتي هنا بشاهد من عاشوا بين العالم المادي؛ ورأى مدى الشقاء الذي يعيش فيه أهل هذا العالم من أغنياء وفقراء على السواء..

فهذا العالم الأمريكي « بيرنس جيفارت » يتحدث عن مجتمعه الذي تتحكم فيه المادية، ويقول: « إن العلم قد غلا في الإستفادة من تصديق العامة له، أكثر مما غلا رؤساء الدين في إستجابة الناس لهم.. فقد إستطاع العلم أن يشكك العامة وأشباه العامة في العقيدة، ويؤكد لهم عدم صحة الحقائق الدينية، ووعدهم بتعويض عنها بأصول ثابتة أبدية لدين جديد، وهو دين المادية، فلم يف بهذا الوعد لهم ولما آب للإنسانية بعض صوابها، وقد فقدت مغرياتها السابقة- وجدت نفسها حيال فراغ رهيب. « إن السلماء- أي الماديين ينصحون لكل إنسان أن يكون له دينه الخاص، ولم يفطنوا إلى أن هذه النصيحة تحتوي على تناقض بين، حيث إن المذهب الحسي- أي المادي- لم يترك للإنسان مجالاً غير مجال المادية المحض..

ثم يقول: « فأي قانون أخلاقي يكبح جماح أهوائنا، وإدخالها إلى مجاريها الطبيعية المعتدلة؟ لقد ذهب عنا الكمال المعنوي، ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شيء غير مدرك، لأن العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس..

« إن تحت هذا السلم الذي إقتضاه الخوف العام، لأحقاداً تختمر إختماراً بأشد مما كانت عليه في أي زمن من الأزمان، فإن جرائم الفوضويين، وإنتحار الأسر بأجمعها، والوساوس الخرافية الآخذة في الإنتشار بين الناس، والجنون الذي لا ينتظر إلا ستوح الفرص

لأصحاب الأثرة البائسين- كل هذا الفساد الخلقي الشديد الوطأة، البعيد القرار، الذي عمنا جميعاً، ناشيء من عدم وجود قاعدة دينية تصلح لإحداث الوحدة والإخاء بين إحتياجنا الدائم للعمل وبين عاطفتنا للتراحم والمودة والحب »[1].

وعالم آخر، من علماء القوم، وشاهد إدانة من شهودهم، وهو العالم « كامبل فلا مريون » يقول عن هذا العالم المادي الذي يعيش فيه قومه:

« لا يجوز لنا أن نخجل من الإعتراف بما وقعنا فيه من الإنحطاط، لأننا رضينا به، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة لا همّ لها إلا أغراضها الذاتية.. أليس حظنا اليوم قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها، والحصول على المجد بطريق الإغتيال لا الكسب، وبالغلظة، وعدم الإهتمام بالقوانين والواجبات؟

« إن من التناقض البين أن نرى أن الرقى الذي حصل في العلوم بما لا مثيل له في التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للإنسان في الطبيعة- نرى هذا إذ رفع عقولنا إلى الدرجات العالية، قد أهبط إنسانيتنا إلى أخس الدركات..[2]

« وإن من المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا المادية يوماً بعد يوم، تنطفىء شعلتنا الروحية، وتتصوح زهرة حياتنا القلبية،

(١) الإسلام في عصر العلم ص ٢٨١ وما بعدها، محمد فريد وجدي.

(٢) : (كامبل فلامريون) هارب من الإتحاد السوفييتي وكل من يتاح له المهرب لا يتردد أبداً في المهروب بما تبقى من وجوده.

بتأثير المطامع المادية والشهوات الجسدية »[1].

ذلك هو عالم الماديين، عالم تتحرك فيه أشباح بلا أرواح:

« لو إطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعباً »

فأين هذا من عالم الأمة الإسلامية التي تدين بشريعة، تعلو بالإنسان فوق عالمه الجسدي، وما يغلي فيه من شهوات البطن والفرج، وترفعه بهذا الجسد إلى عالم الروح ونعمة الإيمان فيخف سعاره، وتتكسر حدة شهواته، ويتقاسم جهده روح وجسد هما الجناحان اللذان يحلق بهما فوق عالم الحيوان الذي يدب على الأرض، وإنه بقدر ما يعلى المرء من شأن نفسه بالإيمان بالله تعالى، بقدر ما يعلو ويسمو فيكون إنساناً أقرب إلى الملأ الأعلى، منه إلى عالم الدواب والأنعام.. وبهذا ينعزل المسلم عن عالم الكفر، الذي يعيش أهله أشباحاً بلا أرواح، وصوراً آدمية في طبائع البهائم..

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم »[2]

فالمادية وجه من تلك الوجوه المنكرة التي تغزو المسلمين، وتضلل كثيراً منهم بما يلوح على سرابها الخادع من بريق زائف، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً، وإن المخدوعين منا بهذا السراب، ليقطعون أنفاسهم لهثاً وراءه حتى إذاجاءوه، وجدوا الشقاء الذي يعيش فيه أهله، فشربوا من كأسهم المر المسموم وذلك جزاء من اتبع هواه، فكان:

(١) سورة الكهف: آية ١٨.

(٢) سورة محمد: آية ١٢

« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا، قل إن هدى الله هو الهدى »[1] .

(١) سورة الأنعام: آية ٧١.

العلم الحديث أسقط الفكر المادي.

عالم الوراثة الشهير دكتور: « جون وليام كلوفتس » «JOHN WILLIAM CLOTZ» الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بيتسبرج وأستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا منذ عام ١٩٦٥ بكلية المعلمين بكونكورديا، كان يقول وهو في معرض التدليل على قدرة الخالق: (.. إن هذا العالم الذي يعيش فيه قد بلغ من الارتقاء والتعقيد درجة، تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم. قد ساعدتنا على زيادة فهم ظواهر هذا الكون المعقدة، قرأت هذه الكلمات لعالم الوراثة، فتذكرت أن علماء آخرين على نفس الدرب أصحاب تخصصات علمية مخبرية صرفة قد وقفوا أمام براهين الله في خلقه أشبه ما يكونوا بالمقرين بالوحدانية، لولا أنه لم ينته إلينا إسلامهم لقلنا إنهم أمام جاهلية الماديين في زيف دعواهم العلمية والقانونية والحتمية، وغير ذلك من شعارات الخداع بمثابة دعاة حق إلى الله غير أن الله قد يقيض لهذا الدين من ينصره، ولو لم يكن من أهله من هؤلاء عالم الحيوان الشهير عضو هيئة التدريس بجامعة « أركلاهوما » دكتور أدوين فاست EDWIN FAST وعالم « البيولوجي » دكتور « سيسل هامان » الذي يقول (...أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت الأدلة على التصميم والإبداع - على القانون والنظام - على وجود الخالق

العلمانية :

أولا: حقيقة التسمية

يجب البدء أولاً ببيان حقيقة التسمية، وبيان صحة نسبتها إلى العلم، فهل هي كذلك؟ لقد انخدع الناس بتسمية العلمانية بهذا الاسم، ولا يزال أنصارها يتبجحَّون بها ويتطاولون بتعاليمها مغترين بها حيث وجدت لها سوقا رائجة لدى فئات ممَّن قلَّت معرفتهم أو كانت لهم أهدافاً شريرة ضد الدين لعزله عن قيادة البشر أو التحاكم إليه لإحلال تعاليم عَبدَة الأوثان وأصحاب الأحقاد محله .

وحين انطلقت هذه التسمية في أوربا كان يُقصَد بها عندهم حسب ترجمتها الصحيحة فصل الدين عن السياسة، أو الفصل الكامل بينه وبين الحياة الاجتماعية، على أساس أنه لا يجتمع العلم مع الدين بزعمهم، وقد كذبوا في ذلك وقلبوا الحقيقة، فإن الدين والعلم حميمان يكمل أحدهما الآخر ويقويه، أما نسبتهم مذهبهم إلى العلم فإن الحقيقة تدل على أنه لا علاقة بين العلم وبين هذه الفكرة الضالة، بل إن تسميتها علمانية إنما هو بسبب سوء الترجمة من معناها الغربي الذي هو الابتعاد عن الدين، أو من باب الخداع والتضليل إذ كان الأولى أن تكون ترجمتها وتسميتها أيضاً هي "اللادينية" لأن مفهومها الأصلي هو هذا وليس نسبة إلى العلم.

وما أقوى التشابه بين تسميتهم العلمانية بهذا الاسم نسبة إلى العلم، وبين تسميتهم الاشتراكية العلمية بهذا الاسم كذلك، كلاهما تمسح بالعلم وهو بريء منهما، وكلاهما خداع للناس وتضليل. وبعض الباحثين ذهب إلى أن "علمانية" بكسر العين وسكون اللام معناها العلم الذي هو ضد الجهل، وأما "علمانية" بفتح العين وسكون اللام فمعناها العالم أو الدنيا في مقابل الآخرة، وتأتي علمانية أيضاً بمعنى دهري وهو تفسير لكلمة "لائيك" الفرنسية وهو تعبير نشره اليهود في فرنسا فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين([1]).

---

[1]) انظر ((نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي))، (ص:23) المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي 681/2.

التعريف الصريح للعلمانية:

الواقع أن دارس العلمانية سيلاحظ تعريفات كثيرة، إلا أن أصدق تلك التعريفات وأقربها إلى حقيقة العلمانية هو:

أن العلمانية مذهب هدَّام يُراد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها.

أو هي إقامة الحياة على غير دين إما بإبعاده قهراً ومحاربته علناً كالشيوعية، وإما بالسماح به وبضده من الإلحاد كما هو الحال في الدول الغربية التي تسمي هذا الصنيع حرية وديمقراطية أو تدين شخصي. بينما هو حرب للتدين، ذلك أن حصر الدين في نطاق فردي بعيداً عن حكم المجتمع وإصلاح شؤونه هو مجتمع لا ديني لأنه أقام حياته الاجتماعية والثقافية وسائر معاملاته على إقصاء الدين ، وهو حال الحضارة الغربية الجديدة ونظامها، وهذا هو الواقع الصحيح، ولا عبرة بمراوغتهم في زعمهم أنهم يرعون التدين، فإنها مجرد خداع للمتدينين، فإن تسميتهم لهذا الإلحاد علماً هو من باب فرحهم بمعرفتهم ظاهراً من الحياة الدنيا، وأين هو من العلم الحقيقي الذي يوصل صاحبه إلى معرفة ربه ودينه وإلى السعادة في الدنيا والآخرة.

نشأة العلمانية وموقف دُعاتها من الدين وبيان الأدوار التي مرت بها

لقد قامت العلمانية اللادينية على الإلحاد وإنكار وجود الله تعالى وإنكار الأديان، وهي ردة في حق من يعتنقها من المسلمين مهما كان تعليله لها، وكانت العلمانية عند قيامها في مرحلتها الأولى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، تنظر إلى الدين على أنه ينبغي أن يكون أمراً شخصياً لا شأن للدولة به إلا ما يتعلق بجباية الضرائب للكنيسة، ولعل هذا كان خداعا لأهل الدين، ثم اشتدت المواجهة للدين على النحو الذي تطورت إليه بعد ذلك، وكان الخلاف محتدماً ما بين رجال الدين ورجال العلمانية على السلطة، مما جعلهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ليستقل كل فريق بسلطته. حتى إذا جاء القرن التاسع عشر، وهي المرحلة الثالثة، إذ بالعلمانيين يتجهون اتجاها منافياً لكل مظاهر الدين والتدين، وأحلوا الجانب المادي محل الدين، وبدأ الصراع يشتد بين العلمانيين اليساريين الناشئين وبين رجال الدين الكنسي المتقهقر، إلى أن أُقصيَ الدين تماماً، ولم يعد للإيمان بالغيب أي مكانة في النفوس، إذ حل محله الإيمان بالمادي المجرد المحسوس.

ورغم وضوح الإلحاد في المذهب العلماني فقد ظهر من يزعم زوراً وكذباً أنه لا منافاة بين العلمانية وبين الدين، وأخذ بعض الجاهلين والمتجاهلين يرددون هذا الفكر المغالط كالاشتراكيين تماماً، على أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ أن حرب الغرب للدين وأهله إنما جاءهم من دين مُحرَّف معادٍ لكل مفهوم للحياة الجديدة، لأن النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام قد اندثرت وحُرِّفت وضاع إنجيله بعد رفعه بفترة قصيرة، فتزعم الديانة بولس اليهودي الحاقد، فجاءت خرافية مصادمة للعقل

والمنطق والواقع، ومن هنا وجد أقطاب العلمانية أن الدين – وهو تعميم خاطئ – لا يمكن أن يساير حضارتهم الناشئة، وأن رجال دينهم طغاة الكنيسة لا يمكن أن يتركوهم وشأنهم – وهو ما حدث بالفعل – وعلى إثر ذلك قامت المعركة بين الدين وأقطاب العلمانية، ونشط العلمانيون في بسط نفوذهم، وساعدتهم على ذلك عامة الشعوب الأوربية التي أذاقتها الكنيسة الذل والهوان والالتزام بدين لا يقبله عقل أو منطق، فوجدوا في الالتجاء إلى رجال الفكر العلمانيين خير وسيلة للخروج عن أوضاعهم.

وإذا كان القارئ يرى أن للغرب حجتهم في رفض ذلك الدين البولسي الجاهلي، فإنه سيرى حتماً أن انتشار العلمانية في بلاد المسلمين أمر لا مبرر له بأي حال، ولا سبب له إلا قوة الدعاية العلمانية وجهل كثير من المسلمين بدينهم وجهلهم كذلك بما تبيته العلمانية للدين وأهله واتباعا للدعايات البرَّاقة.

الأدوار التي مرت بها العلمانية في نشأتها

وقد ذكر الدكتور العرماني أن العلمانية قد مرت في تطورها بأدوار هي كما يلي:

الدور الأول :

وقد كان دور الصراع الدموي مع الكنيسة، وسُمي هذا الدور بعصر التنوير أو بداية عصر النهضة الأوربية، ويعود سببه إلى تأثر الأوربيين بالمسلمين أثر اختلاطهم بهم عن طريق طلب العلم في الجامعات الإسلامية، وقد ذاق علماء الغرب في هذا الدور ألوانا من العذاب على أيدي رجال الكنيسة إثر ظهور الاكتشافات العلمية هناك ووقوف رجال الكنيسة ضد تلك الاكتشافات وجهاً لوجه.

الدور الثاني :

ظهور العلمانية الهادئة وتغلب رجالها على المخالفين من رجال الكنيسة، وفيه تم عزل الدين عن الدولة وانحصرت مفاهيم الكنيسة في الطقوس الدينية فقط بعيدة عن الحياة الاجتماعية كلها.

الدور الثالث:

وفيه اكتملت قوة العلمانية ورجالها، وحلَّ الإلحاد المادي محل الدين تماماً .

ثم برزت الرأسمالية وغيرها من الروافد المقوية للإلحاد العلماني، فاكتمل تطويق الدين ورجاله واعتبر الدين عدواً للحضارة، وصار محل سخرية الجميع في رد فعل عارم يريد أن يكتسح كل شيء أمامه مما كان موجودا ليفسح الطريق أمام الوضع الجديد المتمرد على كل الأوضاع التي قبله.

أسباب قيام العلمانية :

قامت العلمانية أول ما قامت في أوروبا وذلك لأسباب عديدة منها:

أولاً: الطغيان الكنسي:

فالكنيسة طغت، وتجبرت، وأصبحت تفرض على الناس العقائد الباطلة التي لا تتفق مع نقل ولا عقل، كعقيدة العشاء الرباني، وعقيدة التثليث، وعقيدة الخطيئة الموروثة، والصلب والفداء.

كما أنها أصبحت تحرم، وتحلل، حسب ما يتفق وأهواء رجال الدين.

وعززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله مثل حق الغفران، وحق الحرمان، وحق التحلة.

ولم تتردد الكنيسة في استعمال هذه الحقوق واستغلالها، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية صكوك الغفران السالفة الذكر،وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحاً مخيفاً للأفراد والشعوب في آن واحد؛ فأما الذين تعرضوا له من الأفراد فلا حصر لهم، منهم الملوك أمثال: فردريك، وهنري الرابع الألماني، وهنري الثاني الإنجليزي، ورجال الدين المخالفين مثل: أريوس حتى لوثر، والعلماء والباحثون المخالفون لآراء الكنيسة من برونو إلى آرنست رينان وأضرابه.

أما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل خلاف بين الملك يوحنا ملك الإنجليز، وبين البابا، فحرمه البابا وحرم أمته، فعطلت الكنائس من الصلاة، ومنعت عقود الزواج، وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة، وعاش الناس حالة من الهيجان، والاضطراب، حتى عاد يوحنا صاغراً يقر بخطيئته، ويطلب الغفران من البابا.

ولما رأى البابا ذُلَّه، وصدق توبته رفع الحرمان عنه وعن أمته.

أما التَّحلَّة؛ فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين، وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة _ مصلحتها _ ذلك.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد لاسيما بعد أن اتضح للكنيسة الأثر الإسلامي الظاهر في الآراء المخالفة، فأنشأت ذلك الغول البشع، والشبح المرعب، الذي أطلق عليه اسم (محاكم التفتيش) تلك المحاكم التي عملت على إبادة المسلمين، أو المخالفين لآراء الكنيسة.

ولا يكاد المؤرخون الغربيون يتعرضون للحديث عنها إلا ويصيبهم الاضطراب، وتتفجر كلماتهم رعباً، فما بالك بالضحايا الذين أزهقت أرواحهم، والسجناء الذين أذاقتهم ألوان المر والنكال.

وكانت المحكمة عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب، وآلات لتكسير

العظام، وسحق الجسم البشري، وكان الزبانية يبدأون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم.

وكان لدى المحكمة آلات تعذيبية أخرى منها آلة على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة، يلقون الضحية في التابوت، ثم يطبقونه عليه، فيتمزق جسمه إرباً إرباً، وآلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب، ثم تشد، فتقصه قطعة قطعة، وتغرز في أثداء النساء حتى تنقطع كذلك، وصور أخرى تتقزز منها النفوس، وتشمئز لذكرها.

كل ما سبق جعل الناس يؤمنون بالمسيحية قسراً دون أن يتجرأ أحد على مناوءتها أو مخالفتها.

أضف إلى ما سبق ما حصل من طغيان الكنيسة السياسي، حيث فرضت وصايتها على الملوك، وجعلت معيار صلاحهم معلقاً بما يقدمون للكنيسة من طاعة وانقياد.

أضف إلى ذلك الطغيان المالي، ويمكن تلخيص مظاهر الطغيان الكنيسي في هذا المجال بما يلي:

1_ الأملاك الإقطاعية: حيث أصبحت الكنيسة أكبر مُلاَّك الأراضي، وأكبر الإقطاعيين في أوروبا.

2_ الأوقاف: فلقد كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة، بدعوى أنها تصرف عائداتها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية. إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق.

3_ العشور: حيث فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة العشور، وبفضلها كانت الكنيسة تضمن حصولها على عشر ما تغله الأراضي الزراعية، والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين.

4_ ضريبة السنة الأولى: فالكنيسة لم تقنع بالأوقاف، والعشور، بل فرضت الرسوم، والضرائب الأخرى، لاسيما في الحالات الاستثنائية؛ كالحروب الصليبية، والمواسم المقدسة، وظلت ترهق كاهل رعاياها.

فلما تولى البابا حنا الثاني والعشرون جاء ببدعة جديدة هي (ضريبة السنة الأولى).

وهي مجموع الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية، والإقطاعية تدفع للكنيسة بصفة إجبارية، وبذلك ضمنت الكنيسة مورداً مالياً جديداً.

5_ الهبات والعطايا: وذلك أن الكنيسة كانت تحظى بالكثير من العطايا والهبات،يقدمها الأثرياء الإقطاعيون؛ تملقاً ورياءاً، أو بدافع من الصدقة والإحسان.

6_ العمل المجاني _السخرة_: وذلك بقيام بعض الناس بالعمل لخدمة الكنيسة بالمجان مدة محددة، هي

في الغالب يوم واحد في الأسبوع دون مقابل.

ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

فلقد قام الصراع بين الكنيسة والحقائق العلمية على أشده، فلقد كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة، فلما ظهرت بعض الحقائق العلمية التي تخالف ما تقرره الكنيسة كنظرية كوبرنيق (1543م) الفلكية، ومن بعده (جردانو برونو) وغيرها من النظريات _ حصل الصراع بين الكنيسة وبين العلم، ومن هنا اصطدمت حقائق العلم بزيوف الكنيسة؛ فقامت الكنيسة بالقبض عليهم، وتكذيبهم، ومحاربة أفكارهم.

ومن ثم نشأت الفكرة القائلة: إن العلم لا صلة له بالدين، وإن الدين يحارب العلم.

ثالثاً: الاضطرابات والثورات التي قامت في أوروبا:

كالثورة الفرنسية، وغيرها، تعد من أسباب قيام العلمانية.

رابعاً: شيوع المذاهب والأنظمة الاجتماعية والنظريات الهدامة كنظرية التطور وغيرها.

خامساً: الخواء الروحي عند الأوروبيين؛

ذلك؛ لأن النصرانية المحرفة لا تزكي الروح، ولا تخلص أتباعها من الأسئلة القاتلة داخل النفوس حول الكون، والإله، والمصير، وما إلى ذلك.

سادساً: غياب المنهج الصحيح عن الساحة الأوروبية، وهو الإسلام.

سابعاً: تقصير أمة الإسلام في أداء رسالتها تجاه البشرية.

ثامناً: خلو الأناجيل المحرفة من أي تصوُّر محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو علمي.

تاسعاً: المكر اليهودي الذي يحرص على إنشاء المذاهب الهدامة،

أو احتوائها؛ رغبة من اليهود في إفساد البشرية وجعلها حمراً يمتطونها.

كل هذه العوامل جعلت من الدين رمزاً للتسلط، والتجبر، والطغيان، والجهل والخرافة، ومحاربة العلم؛ فما الحل إذاً؟

الحل الذي ارتأوه أن الدين حجر عثرة أمام التطور، والمطلوب نبذه وإقصاؤه عن الحياة، ومن هنا قامت العلمانية.

وكان جديراً بهؤلاء الذين قاوموا هذه الكنيسة أن يبحثوا عن المنهج الحق الذي يشجع العلم ولا يقف ضده، بل هو دين العلم ألا وهو الإسلام.

ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل، ولله في ذلك حكمة.

فهذه أسباب قيام العلمانية، وتلك مسوغاتها.

انتشار العلمانية في ديار المسلمين وبيان أسباب ذلك :

عرفت مما سبق أن المسلمين ليس بهم حاجة إلى العلمانية، ومع ذلك فقد انتشرت العلمانية في ديار المسلمين انتشاراً قوياً، وأوجد لها أعداء الإسلام عملاء من أهل كل بلد ينوبون عنهم في نشرها بالحيل أحياناً وبالقوة أحياناً أخرى، وكان هؤلاء النواب أشد من ملاحدة الغرب شراسة وإلحاداً، وأشد جرأة وتعسفا لأبناء جنسهم في إرغامهم على قبول اللادينية وربوا عليها أجيالهم، وأصبحت في كثير من البلدان أمراً مسلماً به، وحلت محل الإسلام في كل ناحية مع التظاهر عند البعض بالتزام الإسلام.

والأمثلة لا تخفى على القارئ، فقد أصبحت تركيا دولة علمانية لا دينية على يد المجرم "أتاتورك"، الذي قطع كل صلة لتركيا بالإسلام والمسلمين، والذي كان على يديه إسقاط آخر خليفة مسلم في الدولة العثمانية، وإسقاط الدستور الإسلامي واستبداله بالقانون المدني السويسري، وقانون الجزاء الإيطالي، والقانون التجاري الألماني، وغيرها من القوانين الوضعية الجاهلية، وتعهد بإخماد كل حرمة إسلامية، وربط تركيا مباشرة بالدول الغربية، وكان من نتائج ذلك أن تمزق المسلمون ولم تعد لهم جامعة تجمعهم ولا رابطة تربطهم، وهو ما تحقق لأعداء المسلمين من المستعمرين، ولا يزال حكام تركيا يتزلفون إلى الغرب، ولم تكن تركيا وحدها هي الضحية، بل كانت كل الدول الإسلامية التي كانت خاضعة للاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي، أو غيرهما، دخلتها العلمانية من أوسع الأبواب، وأدخلت تلك الدول كلها في ظلمات العلمانية، وأقصي عنها التشريع الإسلامي بالقوة مثل ما حصل في الهند على يد البريطانيين، وفي تونس على يد الفرنسيين، وقويت العلمانية كذلك في مصر وأصبح لها كتاب يدافعون عنها، بعضهم كان ينتسب إلى الأزهر مثل "علي عبد الرزاق"، و"خالد محمد خالد" الذي يُقال إنه رجع عن ذلك.

ولا تزال الدول الإسلامية في مد وجزر في تقبل العلمانية أو ردها، وإن كانت الأكثرية قد انخدعت

ببريق العلمانية ومنجزاتها الحضارية المزعومة، بل لقد أصبح الكثير من الزعماء يراهن على بقائه في الزعامة في تزلفه لأقطاب العلمانية اللادينية في الشرق أو في الغرب، وبما يقدمه من خدمات في استيراد العلمانية ومحاربة الشريعة الإسلامية وممثليها، ولا يكتفون بهذا الإجرام، بل يضيفون إليه أن الشعوب هي التي تطلب ذلك، والساسة يذبحون الشعوب بأيدي الشعوب، ويتم كل ذلك دون أن تعلم الشعوب شيئا عما يجري في الخفاء وراء الكواليس في الشرق أو في الغرب، مع أن كل عمل إنما ينفذ باسم الشعب، وأين الشعب وأين ما يجري وراء الكواليس.

الأسباب التي أدت إلى انتشار العلمانية في بعض ديار المسلمين

مما لا شك فيه أن انتشار العلمانية اللادينية أو غيرها من المذاهب الباطلة إنما تنتشر في غفلة العقل وخواء النفس عن التمسك بالمعتقد الصحيح، و في الوقت الذي يرى فيه الإنسان حسنا ما ليس بالحسن من جراء الدعايات البراقة أو الضغوط الشديدة.

وفيما يلي نبين بعض تلك الأسباب التي أدت إلى انتشار العلمانية في ديار المسلمين، ويمكن أن يكون من أول الأسباب كلها:

جهل المسلمين بدينهم: فلقد مرت بالمسلمين فترات ساد فيها الجهل وتغلبت الخرافات وقل فيها الإقبال على العلم والتعلم حتى وصل الحال إلى إمكان عَدِّ الذي يقرأون ويكتبون في البلد الواحد، وحتى الكثير من هؤلاء القرَّاء والكتاب قد لا يقرأ أحدهم إلا القرآن الكريم من المصحف دون فهم ولا تدبر، وأقفل باب الاجتهاد حين غلب الجهل وقلَّ العلماء المجددون وجمدوا على التعصب للآراء وتشعبوا إلى مذاهب فكرية وطوائف متعارضة يحتدم بينها التنافس المنحرف لا لشيء إلا لأجل بسط النفوذ واكتساب الأتباع، وهذا الانحراف مثلته الصوفية بأجلى مظاهره حيث نام الناس على ترديد أوراد جوفاء في معظمها للتبرك وزهد كاذب عن الدنيا وملذاتها.

والناس في نظر أقطاب الصوفية أصبحوا مذنبين مقصرين في جنب الله، وحصل عند بعض المتصوفة المسلمين ما حصل للنصارى في نشوء طغيان رجال الكنيسة في تجريمهم للناس وتحطيم معنوياتهم والضغط عليهم للتمسك برجال الدين أصحاب الجاه العريض عند الله، فبهم وحدهم أزمَّة الأمور وبرضاهم يرضى الله وبسخطهم يسخط.

واخترع الصوفية في مقابل هذا الغلو النصراني مقالتهم المشهورة "من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان"، واخترعوا أشد من صكوك الغفران عند النصارى، وهو ضمان القطب الصوفي الجنة لمن يريد، ووصل الهوس بأتباع التصوف إلى الكسل التام والخمول المخزي بحجة التوكل على الله وترك حطام الدنيا إلى غير ذلك من مسالك الصوفية.

و على كل حال فإن تلك الأوضاع الشائنة التي كان فيها المسلمون مضافا إليها سرعة انتشار الجهل، مضافا إليها النهضة العلمية التجريبية التي شهدتها أوربا، كل ذلك وغيره قد أثر تأثيرا قويا في لي أعناق كثير من المسلمين إلى التأثر بالحضارة الغربية، فذهبوا يحاولون جاهدين تقريب تلك الحضارة الغربية إلى الحضارة الإسلامية على حساب الحضارة الإسلامية بحجة الانفتاح والاستفادة مما وصل إليه الغرب الذي تطور إلى أن وصل إلى الحال الذي يُنظر إليه بعين الإكبار عند المغترين بزخرف الحياة الدنيا، وقد اقتبس الكثير من المسلمين كثيرا من المفاهيم الأوربية وقدموها للمسلمين على أنها حلولا لمشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وأنها تتماشى مع الإسلام، وانخدع بذلك الكثير من المثقفين ومن غير المثقفين، وكأننا نسير إلى تحقيق ما أخبر عنه النبي من اتباع المسلمين سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى في كل شيء، حتى لو دخل أحدهم جحر ضب لدخله المسلم محاكاة وتقليدا دون وعي وتبصُّر.

ولقد زاد انبهار المسلمين بما عند الغرب، فقد أصبح التغريب من الأدلة القوية على التمدن والتحضر، وأن تلك العلمانية الملحدة هي التي أوصلت أوربا إلى صنع الطائرة والصاروخ، وغير ذلك من الدعايات التي أجاد حبكها العلمانيون وأفراخهم في البلدان الإسلامية الذين يصورون العالم الإسلامي وكأن السبل قد انسدت عليهم والطرق قد انقطعت بهم ولم يبق لهم إلا منفذ واحد يتنفسون منه وهو منخر الحضارة الغربية العلمانية العاتية.

ومن المعروف أن الحقد الصليبي، وخصوصا نصارى العرب جمرة مشتعلة لا تنطفئ إلا أن يشاء الله تعالى، ولقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم أن اليهود والنصارى لا يمكن أن يرضوا عن المسلم حتى يتبع ملتهم ويتخلى عن دينه الإسلامي، فقال عز وجل عن ذلك ومؤكدا عليه: وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة: ١٢٠]، ولقد وقف النصارى ضد الإسلام منذ بزوغ فجره إلى اليوم وكان بين النصارى وبين أتباع الإسلام من الحروب وسفك الدماء ما لا يعلمه إلا الله، ولا يقف عدو للإسلام إلا وقف النصارى إلى جانبه مؤيدين له، ولا يجهل طلاب العلم شراسة الحروب الصليبية التي خاض غمارها جحافل الصليب يؤجج نارها طغاة الكنيسة الذي كانوا يضمنون الجنة لكل من حمل صليبه وسيفه لحرب المسلمين التي كانوا يسمونها جهادا في سبيل الله وحربا مقدسة.

وقد استمرت عداوة العالم الغربي النصراني للإسلام والمسلمين راسخة في قلوب النصارى حتى بعد أن أدار العالم الغربي ظهره للنصرانية إذ لم تمنعهم عداوتهم للدين النصراني من شدة تعصبهم لما وقع في أسلافهم تحت السيوف المسلمة، فقد أصبحت عداوتهم للإسلام أمراً موروثاً بالفطرة، واستحكمت العداوة إلى الحد الذي أصبح من المستحيل أن يبقى أدنى عطف في قلوب النصارى على أي مسلم، ولكنهم ينافقون المسلمين بأنواع النفاق كلها تحت مسمَّيات عديدة، واشتد العداء للإسلام بسبب وقوفه ضد

مطامعهم وضد طغيانهم الجديد الذي أعقب طغيان رجال الكنيسة، وبسبب دعوة الإسلام إلى التحرر من كل الخرافات والأوهام وإلى تحريمه الذل للكفار والاستكانة لهم، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة الظاهرة والخفية.

ولقد اتخذت عداوة النصارى للإسلام ومحاربتهم له أشكالا مختلفة ومظاهر عدة، ابتداء بحمل السلاح وتجييش الجيوش النظامية إلى الالتجاء للخداع والمكر المتمثل في غزوهم الفكري للعالم الإسلامي تحت عدة أقنعة من التنصير إلى الاستشراق إلى استجلاب أبناء المسلمين وتنصيرهم بطرقهم المختلفة من بناء المدارس لهم والمستشفيات وإنشاء شتى المرافق التي قدمنا ذكرها، ونشطوا في ذلك نشاطا عاليا أثمر فيما بعد استيلاءهم على العالم الإسلامي حسيًا ومعنويا، وعلت حضارتهم المادية التي يفاخرون بها على حضارة الإسلام، علت في قلوب مريضة أصيبت بالانبهار بما عند الغرب من صناعة وفكر ونظام، سهل بعد ذلك تسرب العلمانية إلى عقول وجهاء وأصحاب نفوذ صاروا ربائب لأكابر وجهاء العلمانية.

وقد توالت الهزائم على العالم الإسلامي فلا يخرجون من هزيمة إلا إلى أخرى، وأصاب المسلمين الوهن والاستخزاء أمام العبقرية الأوربية، ونجح الجزء الأكبر من المخططات اللادينية، وتضافرت الجهود وأشغلوا المسلمين بأحداث هامشية فيما بينهم لا تخدم أي شكل من أشكال المصالح العامة.

وكانت أكبر الخطط الناجحة هي تلك التي اتفق عليها زعماء الغرب من ضرب المسلمين بعضهم ببعض والاتجاه بالحرب وجهة أخرى ليس فيها جيوش ولا آلات حربية، وإنما هي حرب الإسلام ذاته عن طريق الغزو الفكري بدون إثارة المسلمين والتفنن في إطلاق الشعارات البراقة على أعمال العلمانيين والمنصرين في البلاد الإسلامية في أشكال مساعدات إنسانية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وما إلى ذلك من الأسماء التي ظاهرها الرحمة وباطنها دمار الإسلام والمسلمين.

أما الاحتلال الشيوعي الماركسي: ففي الشرق الإسلامي قامت الشيوعية الماركسية باحتلال أراضي المسلمين هناك وقتلت أهلها قتلا ذريعا، وقامت الصين بنفس العمل أيضا حينما احتلت أجزاء من الأراضي الإسلامية، وكان الجميع يتباهون بقتل وتشريد المسلمين ونشر الرعب والفساد، فتوالت على المسلمين النكبات من كل جانب، ولولا لطف الله تعالى وتكفله بحفظ دينه وكتابه لكان العالم الإسلامي في مهب الريح، فلقد فعل الشيوعيون بالمسلمين وبممتلكاتهم أفعالا يندى لها الجبين، فكانوا يهدمون المساجد والبيوت على من فيها في حقد لا نظير له، والحمد لله الذي أقر أعين المسلمين بموت الشيوعية واندحارها في عقر دارها، سنة الله في الباطل الذي يكون له صولة ثم يضمحل – كما سيأتي الحديث عن هذا المذهب الهدَّام وأتباعه الأبالسة. أما بالنسبة للاحتلال اليهودي لأراضي فلسطين: فلقد كان له تأثير واضح نجح رويدا رويدا من وراء ستار كما هو شأن اليهود الذين يجيدون المؤامرات السرية ضد

كل المخالفين لهم، وهم وإن لم يكن لهم مستعمرات كثيرة واضحة، فإن لهم مستعمرات هي أشد خطراً من المستعمرات الظاهرة، فلم يكن السبب في انتشار العلمانية في البلاد الإسلامية هو ما تقدم من الأسباب فقط، وإنما انضاف إليها هذا التيار الخطير الهدام والمتمثل في دور اليهود الحاقدين الذي أخبر الله في كتابه الكريم عن شدة عداوتهم للإسلام والمسلمين، وأنهم لا يزالون على عداوتهم إلى الأبد، قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ [illegible]، وجاءت السنة النبوية لتؤكد ذلك، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن خبث اليهود ومكرهم بالمسلمين في عدة أحاديث، منها ((ما خلى يهودي بمسلم إلا وهم بقتله)).

وجاءت أفعال اليهود تجاه المسلمين – قديما وحديثا – لتؤكد مصداق كل ما ورد من أوصافهم العدائية في الكتاب والسنة وأقوال الناس عنهم، وجاءت كذلك أقوال عقلاء الناس من مسلمين وغير مسلمين لتؤكد على خطر اليهود على البشرية كلها، واطلع الناس على ما جاء في "التلمود" من تعاليم ضد الجوييم أو الأمميين، واطلعوا على "بروتوكولات حكماء صهيون" الجهنمية فهالهم الأمر، واتضح لكل ذي بصيرة أن اليهود من أشد الناس عداوة للبشرية، ومن أشدهم مكرا، ولقد استعمر اليهود كثيرا من البشر عن طريق منظماتهم ونواديهم، ومنها الماسونية، والشيوعية، وسائر تلك الأفكار، ويكفي في تصور شدة مكر اليهود استحواذهم على النصارى وإدخالهم في حظيرتهم إلى الحد الذي جعل النصارى يتنكرون لما هو من صميم عقائدهم الأساسية وهو قتل اليهود للمسيح عليه السلام – كما تزعمه مصادرهم – فقد أصدر زعماء النصارى بيانا بتبرئة اليهود من هذا القتل، وما ذاك إلا للضغط اليهودي، كما أنهم أصمُّوهم وأعموهم عما دونه أحبار اليهود ضد النصارى من عداء شديد إلى حد استحلال دمائهم وأكلها في عيد فصحهم كما فعلوا بالأب "توما" وخادمه "عمَّار" في القضية المشهورة التي حدثت ببلاد الشام القرن الماضي.

والذي يهمنا من هذا إنما هو الإشارة إلى تأثير اليهود في نشر العلمانية اللادينية في البلاد الإسلامية، وسيتضح للقارئ مدى هذا التأثير بمجرد قراءته لـ "بروتوكولات حكماء صهيون" وما جاء في "التلمود" و في تعاليمهم السرية التي يتواصون فيها بالقضاء على كل الأديان – ما عدا دينهم – وأن ذلك سيتم بتشجيعهم لكل حركة معادية للدين ولكل فكرة تحارب الفضيلة، فنشروا الفساد الأخلاقي بكل أشكاله تحت مسمى الحرية، وحاربوا الأديان تحت مسميات مختلفة.

وما إن ظهرت اللادينية إلا وتلقفها اليهود ونشروها بكل وسائلهم الكثيرة ودعاياتهم المؤثرة، حتى ركن كثير ممن ينتسب إلى الإسلام إلى تلك الدعايات وتحولوا إلى جنود لخدمة اليهود من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وقد حذرنا الله تعالى من الركون إلى أعداء ديننا بقوله عز وجل: وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ [illegible]، وقد وضحت هذه النار

في الشعوب الإسلامية الذين تنكروا لدينهم وتقبلوا العلمانية، وضحت في معيشتهم و في أمنهم و في تكاتفهم، بل وفي كل شؤون حياتهم، فكانت أمرا مخزيا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا

ولا يزال اليهود أداة تخذيل وإغواء لكل الأمم – وخصوصا الأمة الإسلامية – التي تمثل عدوهم اللدود الأبدي، ذلك العدو الذي تآمروا عليه منذ بزوغ فجره إلى اليوم، ولكن كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، وما تمجيدهم للعلمانية ولأقطابها وذمهم للإسلام ولتعاليمه إلا جزءا من عداوتهم له، وجزءا من مخططاتهم للقضاء عليه. ولن يتم الله لهم ذلك إن شاء الله إلى الأبد وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

ومن الأسباب لانتشار العلمانية أيضا هذه البعثات لأبناء المسلمين التي تُرسل إلى الغرب للدراسة – إلا من رحم الله منهم – ذلك أن الطالب يذهب باعتباره تلميذا مستفيدا لا مناظرا مدافعا، فيشبع من هناك بما قد أعد له وفق مخطط محكم، وحينما يتم دراسته ويرجع إلى بلده الإسلامي لاشك أنه يرجع بغير الفكر الذي ذهب به، إذ لابد وأن يتأثر ولو باتجاه واحد على الأقل أو شبهة لا يستطيع دفعها عن نفسه مهما حاول التماسك والتوفيق بيد الله تعالى.

بل إن كثيرا من الذين ذهبوا للدراسة في الدول الكافرة العلمانية يرجعون بقلوب غير التي ذهبوا بها معهم فيتمنون لو أن مجتمعهم الإسلامي يتحول في لحظة إلى صورة طبق الأصل عن تلك المجتمعات الكافرة التي ألفوها وأُشربوا حبها، وقد صرَّح كثير منهم بإعجابه بالحضارة الأوربية، واعتقدوا أن لا مخرج للمسلمين إلى السعادة وامتلاك القوة إلا بتقليد الغرب في كل صغيرة وكبيرة، كالطهطاوي وأحمد خان، وعلي عبد الرزاق، وطه حسين.

فرجع كثير من طلاب العلم من المسلمين الذي ذهبوا إلى الدول الأوربية للدراسة وهم متضلعون من تعاليم العلمانية ومقتنعون بها، وإذا رجع الفكر إلى تاريخ المسلمين الأوائل فإن صاحبه يشعر بالحزن والأسى، لأن ماضي المسلمين كان هو النور المشرق، وكان العلم وأهله وكتبه كلها عند المسلمين وفي جامعاتهم، في الوقت الذي كانت فيه أوربا في حمئة الجهل، فانقلب الحال رأسا على عقب حينما زهد كثير من المسلمين عن تعاليم دينهم ورغبوا في الحضارة الغربية وزخرفها، فأصبح بعض المسلمين ينظر إلى العلوم الغربية بنفس الإكبار الذي كان ينظر به الغرب إلى العلوم الإسلامية.

ومن الأسباب أيضا استغلال العلمانيون قيام النعرات الجاهلية من قومية ووطنية ودعوى نبذ التخلف، وما إلى ذلك، وقد استجاب لهم الكثير، البعض بحسن نية، والأكثرون بخبث نية وتخطيط بارع للكيد للإسلام والمسلمين.

وما إن سرت نخوة الجاهلية في عروق القوميين والوطنيين والتقدميين إلا وسرى معها التعالي

والرجوع إلى الأمجاد الجاهلية المزعومة التي كانت العلمانية تصفق لها وتصف أهلها بشتى نعوت المدائح والعبقريات الفذة.

كما أن أولئك الثائرون قد أتوا على الأخضر واليابس ورأوا أن بناء مجدهم يتطلب إقصاء تعاليم الدين والسير خلف ركب الحضارة الأوربية الذي تولد من قيام العلمانية الجديدة والسير في طرقاتها حذو القذة بالقذة.

ومنها الترابط بين العلمانيين في الغرب وأتباعهم في ديار المسلمين، ومساندة بعضهم بعضا وإمدادهم بأسباب القوة التي تمكنهم من اعتلاء المناصب في بلدانهم بعد أن باعوا ضمائرهم وأصبحوا عملاء لهم، فضلا عن الضغط الذي تتعرض له الحكومات الإسلامية لإفساح المجال واسعا أمام طلائع العلمانيين، بل وتشغيلهم بحكم ما يحملون من شهادات أوربية – يجب أن تكون محل الاهتمام والتقدير لأنها صادرة عن موطن التقدم والرقي كما يصورونها في أذهان عامة المسلمين المنهزمين في أنفسهم.

وقد ظهر ذلك واضحا في معاملة هؤلاء المستغربون، فإن لهم الأولوية في الوظائف وزيادة الرواتب، كما نسمع من أخبارهم.

وإذا أبى إلا التحدث بالإنجليزية فهو نور على نور ودلالة على تقدمه ومعرفته، ولقد نشر هؤلاء مبادئ العلمانية الشريرة بكل وسيلة وكان لهم أكبر الأثر في الدعاية للعلمانية ومبادئها بين عامة المسلمين.

لماذا نرفض العلمانية؟

– أن الشرع لله ابتداء، وأن شريعة الله هي العليا.. وأن مقتضى ذلك ألا يكون معها شريعة أخرى، وإلا فمعنى ذلك هو الشرك، واتخاذ الآلهة مع الله، والعبادة للأرباب المتفرقين.

– إن العلمانية تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وقبول التحليل والتحريم من غير الله كفر وشرك مخرج من الملة، فلا بد لنا من رفض العلمانية لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام.

– إن العلمانية ليست معصية ولكنها كفر بواح، وقبول الكفر والرضا به كفر.. ولذلك فلا بد لنا من رفض العلمانية وعدم الرضا بها لنبقى في دين الله، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام.

– إن الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً من الكتاب والسنة ــ هذه الأنظمة ــ تفتقد الشرعية وموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة..

إنه يرفض هذه الأنظمة، ويرفض الاعتراف لها بأيّ شرعية.

- إن العلمانية هي أقصى درجات التخلف العقيدي، والذي تنشأ منه كل ألوان التخلف الأخرى.. وهذا التخلف يولّد احتياجاً، والاحتياج يولد تبعية.. ولذلك فنحن نرفض العلمانية لأنها سبب التخلف والتبعية.
- إن العلمانية يحكم في ظلها الأراذل والعملاء، وينتج عنها ظواهر اغتراب، وفقدان انتماء، فيؤدي ذلك إلى استنزاف الطاقات، وضياع الجهود، وفساد عريض.. ولذلك فلا بد أن نرفض العلمانية ليسقط حكم الأراذل والعملاء، ويتولى أولوا الألباب قيادة الأمة، فيكون ميلاداً جديداً للأمة الإسلامية، التي تستطيع أن تثب الوثبة القوية، وتنطلق الانطلاقة الواسعة، وتحطم الأغلال التي وضعها الأعداء على المارد الإسلامي.

الرد على من زعم أنه لا منافاة بين العلمانية وبين الدين

ما أكثر المغالطات التي توجه إلى خلط المفاهيم إما عن جهل بالحقائق وإما عن معرفة وطوية مبيتة شريرة.
ومن العجيب حقاً أن يتبجح مُنشئوا العلمانية بأنها حرب على الأديان وتذويب للمجتمعات في بوتقة اللادينية، ثم يأتي بعد ذلك من يحاول تغطية هذا المفهوم الواضح فيدَّعي التوافق بينها بحجة أن العلمانية والدين يجتمعان في الحث على نبذ التأخر – حسب مفهومهم – وعلى الحث على العلم والاكتشافات والتجارب، والدعوة إلى الحرية، أو أن العلمانية تخدم جوانب إنسانية بينما الدين يخدم جوانب إلهية.. إلخ تُرهاتهم، ولنا أن نقول للمغالطين أن العلمانية لم تظهر في الأساس إلا بسبب الخلافات الشديدة بين دينهم وبين علمانيتهم، وإلا فما الذي أذكى الخصومة بين الدين والعلمانية عندهم؟
نعم إن الدين الصحيح يدعو إلى نبذ التأخر والأخذ بالعلم ومعرفة الاكتشافات والبحث والتجارب ويدعو إلى الحرية، لكنه لا يجعل تلك الأمور بديلاً عن الخضوع للتعاليم الربانية أو الاستغناء عنها وإحلال المخترعات محل الإله عز وجل، بل يحكم على كل من يعتقد ذلك بالإلحاد ومحاربة الدين علناً، وهو ما سلكته العلمانية بالنسبة لنبذها للدين.
والدين الصحيح لا يفصل بين السياسة والحكم بما أنزل الله تعالى، ولا يجعل قضية التدين قضية شخصية مزاجية، ولا يبيح الاختلاط ولا السفور وإعلان الحرب على القيم والأخلاق، بينما العلمانية لم تقم في الأساس إلا على تكريس البعد عن الدين – النصراني – وإباحة الشهوات بكل أشكالها. فأي وفاق بينهما؟ ! !
كذلك فإن الدين لا يبيح لأي شخص أن يُشرِّع للناس من دون الله تعالى، ولا أن يتحاكموا إلى غير شرع الله تعالى، وهذا بخلاف العلمانية، كما أن التوافق بين شيئين في بعض الجوانب لا يجعلهما متماثلين حتماً.
أما هل يوجد وفاق بين الإسلام بخصوصياته وبين العلمانية ؟
فإنها إذا كانت العلمانية لا تتوافق مع بعض المذاهب الوضعية الجاهلية وتقف ضد نفوذها، أفيمكن أن تتوافق مع الإسلام بخصوصه، إن الذين يتصورون ذلك لا يحترمون عقولهم ولا مشاعر الآخرين، أليس الإسلام هو العدو اللدود لجميع الجاهليات مهما اختلفت أسماؤها في حزم وصرامة دون أي تحفظ لا يختلف في ذلك

مسلمان؟

وكيف تتفق العلمانية على الشرك بالله عز وجل، وبين الإسلام القائم على عبادة الله وحده لا شريك له ذلاً وخضوعاً وحكماً في كل شيء.

لقد قامت العلمانية من أول يوم على محاربة الدين وعدم التحاكم إليه، و على الخضوع لغير الله تعالى إما الطبيعة وإما في عبادة بعضهم بعضاً بعد أن ابتعدوا عن الدين وعن الخضوع لرب العالمين وأشركوا معه سبحانه فئة من البشر يسمونهم بالمشرعين أو القانونيين، ويقدمون كل ما يقرره هؤلاء وينفرون عن ذكر الشريعة الإلهية والرسل والرسالات لأنها بزعمهم لا تقدم الحلول الناجحة كالتي اخترعوها، متناسين هذه الفوضى الفكرية والأخلاقية والاقتصادية.. الخ، الفوضى التي تعيشها المجتمعات العلمانية ونقضها اليوم ما أثبتته بالأمس وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا[النساء:82].

ولعل الذي حمل بعض القائلين بأن العلمانية لا تحارب الدين ما يرونه من عدم تعرض العلمانيين لسائر أهل العبادات بخلاف النظام الشيوعي، ولكن يجب أن تعرف أن أساس العلمانية لا ديني، ولعل تركهم لأهل العبادات إنما هي خطة أو فترة مؤقتة.

الرسالة السابعة:
الاستشراق، والاحتلال العسكري، والتنصير

أولاً: الاستشراق

تعريف الاستشراق: هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً وثروات وإمكانيات؛ بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم ، ومحاولة تسويغ هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي[1].

والمستشرقون هم: «أدمغة الحملات الصليبية الحديثة، وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، ظهروا في حلبة الصراع في فترة كان المسلمون فيها يعانون من الإفلاس الحضاري والخواء الروحي وفقدان الذات؛ مما جعل الفرصة سانحة لأولئك الأحبار، والرهبان، وجنود الصليبيين الموتورين كي يثأروا لهزائمهم الماضية، وينفثوا أحقادهم الدفينة»[2].

والمستشرقون يلتقون مع المبشرين في الأهداف؛ فكلهم يهدف إلى إدخال المسلمين في النصرانية، أو رد المسلمين عن دينهم، أو - في الأقل - تشكيكهم بعقيدتهم، كما أن من أهدافهم وقف انتشار الإسلام.

خصائص الاستشراق: أما خصائص الاستشراق فيمكن إيجازها فيما يلي[3]:

١ - أنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالاستعمار الغربي.

---

(١) انظر رؤية إسلامية للاستشراق - أحمد عبد الحميد غراب ص ٧.
(٢) العلمانية ص ٤٥٣.
(٣) رؤية إسلامية للاستشراق - أحمد عبد الحميد غراب ص ٨-٩.

٢- أنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالتنصير.

٣- أنها دراسات تسهم في صنع القرار السياسي في الغرب ضد الإسلام والمسلمين.

وسائل المستشرقين[1]: سلك المستشرقون لتحقيق أهدافهم وسائل عديدة منها:

١- تأليف الكتب، وإصدار المجلات، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية عن الإسلام، والقرآن العظيم، والسنة المطهرة، وتاريخ المسلمين وتراثهم.

٢- إنشاء الجمعيات والمراكز لخدمة الاستعمار الغربي، ومن هذه الجمعيات الجمعية الآسيوية الفرنسية، والجمعية الآسيوية الملكية البريطانية، والجمعية الشرقية الأمريكية، ومعهد الشرق الأوسط، ورابطة الدراسات الشرق أوسطية.

٣- شراء العديد من الصحف المحلية من بلاد المسلمين إضافة إلى المجلات التي يصدرونها.

٤- عقد المؤتمرات لإحكام خططهم.

٥- تأليف الكتب والموسوعات المليئة بالدس والكيد للإسلام والمسلمين كدائرة المعارف الإسلامية، وكتاب المنجد.

٦- إرسال البعثات، وإنشاء الكليات والمراكز في العالم الإسلامي مستترة باسم العلم والخدمات الإنسانية، وهي في حقيقتها أوكار لتغريب أبناء المسلمين، وترويج لأفكار المستشرقين.

٧- جمع الحقائق عن الشرق وهي التي يمكن أن تكون لها أهمية في أوربا وجعلها مجالاً للتخصص العلمي.

(١) انظر رؤية إسلامية لغراب وسموم المستشرقين لأنور الجندي.

خلاصة جهود المستشرقين[1]:

للمستشرقين جهود كبيرة تتلخص فيما يلي:

١- **الطعن في حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن**: فقالوا عن الإسلام إنه تطوير محرف لليهودية والنصرانية، أو هو جزء من تولد مجموعة الأديان الشرقية تولد من احتكاك الوثنية العربية بأديان فارس والهند، وإن القرآن من وضع محمد ﷺ أو هو من إملاء راهب نسطوري.

٢- **الطعن في نبي الإسلام محمد ﷺ**: ودليل ذلك أن مارت جليوت - وهو من أئمتهم - يقول في فصل له منشور في موسوعة تاريخ العالم: إن محمداً ﷺ رجل مجهول النسب؛ لأنه محمد بن عبدالله وكان العرب يطلقون على من لا يعرفون نسبه اسم عبدالله.

أوليس منبع هذا هو الحقد الصليبي لا الروح العلمية المتجردة؟ وإلا كيف يشكك في تلك الحقائق البديهية المُسَلَّمة؟ وكيف يقال هذا الكلام ورسول الله ﷺ من قوم لا يعرفون شيئاً كما يعرفون الأنساب، ولا يعتزون بشيء كاعتزازهم بالأنساب؟!

٣- **القول بأن الإسلام استنفد أغراضه**: وهي دعوى تأتي في صور شتى، منها وصف الإسلام بأنه دعوة أخلاقية جاءت لإنقاذ المجتمع العربي من عاداته السيئة كعبادة الحجارة، ووأد البنات، والسلب، والنهب، وشرب الخمر..إلخ.

وتارة بأنه حركة اجتماعية تهدف إلى تغيير البنية الاجتماعية القبلية، بحيث

(١) انظر العلمانية ص ٥٥٤ إلى ص ٥٥٧، والولاء والبراء د.محمد بن سعيد القحطاني ص ٤١٣، والإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين الفصل الرابع، والخامس، والسادس، ورؤية إسلامية للاستشراق ص ١٦- ٢٤، ومقال د.محمد بن صامل السلمي في مجلة البيان العدد ٢٠ ص ٦٤-٦٩، والعدد ٢١ ص ٦٨- ٧٦.

تكون تركيباً اجتماعيا قومياً منحصراً للعرب، إلى غير ذلك من الدعاوى.

٤- **القول بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية:** فلا دخل له بأمور الحياة والحكم والحياة الاجتماعية والسياسية.

٥- **القول بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني:** وهي دعوى مركبة على الدعوى السابقة وهدفها إسقاط توحيد الألوهية من جهة، وتهوين شأن الأخذ من القوانين الوضعية من جهة أخرى؛ فما دام الفقه القديم مستقى من أصول أوربية فما المانع اليوم من الاقتباس من القوانين الأوربية كالقانون السويسري أو الفرنسي؟

٦- **الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لاتتلاءم مع الحضارة:** وهذه الدعوى تقوم على استغلال الشعور بالنقص عند بعض المسلمين.

٧-**الدعوى إلى نبذ اللغة العربية وهجر أساليبها والدعوى إلى اللهجات العامية:** حيث قالوا: إن اللغة العربية غير مناسبة للعصر، وحروفها وتراكيبها معقدة.

والهدف من وراء ذلك معروف وهو الهجوم على العقيدة والقرآن عن طريق مهاجمة اللغة العربية؛ إذ كيف يتصور أن يقرأ الناس القرآن الكريم وهم لا يعرفون اللغة العربية؟

بل إن تراث هذه الأمة من كتب السلف كيف يصنع به؟

ثم إن اللهجات العامية التي يريدون هل هي لهجة واحدة محددة؟ لا بل إن كل قطر له لهجة خاصة، وهذه الدعوى لا يخفى أثرها في تفكيك الروابط بين المسلمين.

وما قام به ولكوكس الذي استمر من عام ١٨٨٢م حتى عام ١٩٣٢م يدعو للعامية ويؤلف بالعامية، وما قام به سبيتا والقاضي ولمور - شاهد على ذلك.

٨- **إثارة ما يسمى بتحرير المرأة:** وهي دعوى يهدف من ورائها إلى تحطيم

القيم، والأخلاق، والأسر، ونشر الإباحية، والانحلال.

٩- **التهوين من شأن الحضارة الإسلامية، وتشويه التاريخ الإسلامي:** وشاركهم في ذلك تلاميذهم وقد استخدموا في ذلك وسائل عديدة منها:

أ) اختلاق الأخبار، وإبراز المثالب.

ب) استخدام المنهج العلماني -اللاديني- في البحث والنقد.

جـ) التفسير الخاطئ والفهم العجيب للنصوص.

د) الاعتماد على مجرد الهوى في النقد والتحليل للحوادث التاريخية.

هـ) عرض جانب من الحقيقة، ووضع الخبر في غير سياقه الصحيح.

و) إضعاف دراسة التاريخ الإسلامي، ومزاحمته بغيره.

ز) جعل واقع المسلمين في العصور المتأخرة الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام.

ح) تجاهل الترتيب الصحيح لمصادر التاريخ الإسلامي؛ فهم يرجعون - على سبيل المثال - إلى كتب السمر وكتب الأدب كالأغاني، والحيوان، والمستطرف وغيرها من كتب الطرائف التي لم يقصد مؤلفوها تدوين الحقائق التاريخية بقدر ما قصدوا التسلية وتغذيه المجالس بينما نجدهم يغفلون كتباً من أوثق الكتب بما تضمنت من الحقائق التاريخية مثل كتب الحديث، وكتب الفقه التي تذكر السوابق التاريخية التي وقعت من القضاة والفقهاء، وكتب السير والتراجم؛ فهم يصححون ما في كتب الأدب والتاريخ، ويكذبون ما يرويه مالك والبخاري وغيرهما.

١٠- **بعث الحركات الهدامة والطوائف الضالة وتضخيم أدوارها:** وهذا العمل جزء من تشويه التاريخ الإسلامي؛ فقد اهتموا بالطوائف الضالة كالمعتزلة، وسائر فرق الباطنية على أنها مرحلة من مراحل الفكر الحر أو حرية الفكر.

كما حفلوا في كتبهم ككتب إخوان الصفا، واعتنوا بالشخصيات الضالة

كالحلاج، وعبد الله بن سبأ، وعبدالله بن ميمون القداح، والحاكم بأمر الله العبيدي وغيرهم.

١١- **نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها:** كالحضارة الأشورية، والفرعونية، والطورانية، وذلك لإحياء النعرات القومية، وتفريق الأمة.

ونجم عن ذلك نتائج خطيرة منها تحسين سمعة الجاهلية، وتمجيد طواغيتها، وقطع صلة الأمة بماضيها الحقيقي، أو على الأقل إشغالها عنه.

نماذج من أسماء أشهر المستشرقين:

المستشرقون كثر، وهم متفاوتون في حماسهم لأداء رسالتهم، ومتفاوتون في آثارهم وأثرهم، ومن هؤلاء على سبيل الإيجاز ما يلي[1]:

١- **بطرس المحترم:** من أشهر رجال الدين المسيحي المعروفين بالعداوة الشديدة للإسلام في أوربا في القرون الوسطى، توفي عام ١١٥٦م وقد قام بدور من أخطر الأدوار في تاريخ الاستشراق والتنصير؛ فهو راهب ولاهوتي فرنسي، ترقى في سلك الرهبنة حتى أصبح رئيساً لدير كلوني في فرنسا.

٢- **سنوك هرجر ونية:** مستشرق هولندي تمثل حياته ونشاطاته بكل وضوح العلاقة بين الاستشراق والتنصير.

وقد ولد سنة ١٨٥٧م لأب قسيس، ودرس اللاهوت المسيحي في كلية أنشأت خصيصاً لإعداد القسس، ثم درس اللغة العربية والإسلام، وكانت رسالته للتخرج عن الحج إلى مكة، وقد توفي سنة ١٩٣٦م.

٣- **صمويل زويمر:** وقد عُرف القسيس الأمريكي صمويل زويمر منصراً أكثر مما عُرف مستشرقاً، ولكنه في الحقيقة قد جمع بينهما في نشاطاته العلمية

(١) انظر كتاب رؤية إسلامية للاستشراق من ص ٥٤ إلى آخر الحديث عن المستشرقين.

والأكاديمية، ومن أهم إنجازاته تأسيسه لمجلة العالم الإسلامي وهي أخطر مجلة تنصيرية عالمية، وقد رأس تحريرها مدة ست وثلاثين سنة.

٤- **فنسنك:** مستشرق هولندي كان يعمل أستاذاً للغة العربية بجامعة ليدن توفي ١٩٣٩م ينسب إليه أنه صاحب المبادرة إلى مشروع وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ويرجع تاريخ الفكرة إلى سنة ١٩١٦م وقد خرج المعجم في ثمانية أجزاء ظهر الجزء الأول منها سنة ١٩٣٦م والأجزاء الأخرى بعد وفاة فنسنك وظهر الجزء الثامن والأخير سنة ١٩٦٩م وأشرف على إخراج هذا المعجم بعد وفاة فنسنك عدد من المستشرقين، وقد ألفه لتحقيق أهدافه وأراد من ذلك الوصول بسرعة وسهولة إلى الأحاديث واستخدامها للطعن في القرآن والسنة والعقيدة والشريعة وفي الإسلام كله.

٥- **ريلاند:** هارديان ريلاند (ت ١٧١٨م) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة أوثرست بهولندا، له كتاب في جزأين اسمه: الديانة المحمدية في جزأين.

٦- **دي ساسي:** سلفستر دي ساسي ت ١٨٣٨م، مستشرق فرنسي تعده بعض المؤلفات من المنصفين؛ لأنه اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض في الدراسات الإسلامية وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي.

ومن الواضح أن مجرد الاهتمام باللغة العربية لا يجعل من أي إنسان منصفاً؛ فجميع المستشرقين يشتركون في هذا الاهتمام، بل إن نشأة الاستشراق في الغرب المسيحي ترتبط بالتنصير.

وقد كان هذا المستشرق حلقة وصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين.

٧- **إدواردولين:** مستشرق إنجليزي عاش في نفس القرن الذي عاش فيه دي

ساسي، وقد وصف كذلك بأنه من المستشرقين الذين قاموا بدراسة الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية بل لمجرد حب العلم.

وقد تظاهر خلال إقامته في مصر بأنه مسلم واتخذ له صاحباً مصرياً؛ ليساعده في الاختلاط بالمصريين دون إثارة الشكوك والشبهات حوله.

وله كتاب مشهور من عادات المصريين وأساليب حياتهم نشرته سنة ١٨٣٦م الجمعية الاستشراقية البريطانية المعروفة باسم الجمعية الآسيوية الملكية.

والكتاب يعكس صفات صاحبه هذا وبخاصة صفاته السيئة على الإسلام والمسلمين جميعاً، ولا سيما الجمع بين التدين والشهوانية جرياً على عادة المستشرقين في نسبة النزعة الشهوانية؛ افتراءً على الرسول ﷺ.

٨- **مرجليوث**: إنجليزي متعصب ضد الإسلام ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق ومن كتبه (محمد ومطلع الإسلام) وهو من أوائل من شكك في الشعر الجاهلي، وتأثر به طه حسين بعد ذلك.

هذا وقد حقق المستشرقون الكثير من أهدافهم التي يريدون تحقيقها لخدمة مخططاتهم الصليبية اليهودية.

وهم بعيدون - في الجملة - عن الموضوعية والإنصاف، أما من أراد منهم الحق وسعى له فإنه لا محالة سيدخل في الإسلام عن رغبة أكيدة وعزيمة صادقة، وكل ما ألفوه من كتب وما نشروه من بحوث لم يكن إلا لخدمة أهدافهم، ولكي يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

«وبالإجمال فالاستشراق في جوهره ليس ظاهرة جديدة، بل هو امتداد لموقف العداوة العقائدية: أي موقف الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، وهو موقف لإنكار الرسالة والتكذيب للرسول ﷺ

وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن والرسول ﷺ بوجه خاص، وذلك لتشكيك المسلمين في دينهم، وردهم عنه،كما قال -تعالى- : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥]»[1].

هذا وقد سار على نهج الاستشراق عدد كبير من المستغربين وقاموا بما لم يقم به المستشرقون أنفسهم.

وخلاصة القول أن من تأثر بالمستشرقين لا يمكن أن يكون ولاؤه ولا براؤه خالصين لأمته إلا من تداركه الله برحمة منه.

ثانياً: الاحتلال العسكري

الاحتلال العسكري أو ما يسمى بالاستعمار في العصر الحديث ما هو إلا امتداد للحملات الصليبية التي شنتها أوربا الحاقدة على المسلمين؛ حيث استغلوا ضعف المسلمين، وتخلفهم العقدي الناتج عن كثرة البدع والخرافات كالطواف بالقبور، والتمسح بالعتبات. كما استغلوا من جهة أخرى اشتغال المسلمين بملذات الدنيا ناسين رسالتهم الحقيقية.

عندئذ تناوحت صيحات النصارى منادية بخطر الإسلام، ووجوب القضاء عليه في عقر داره.

ومن ثم قَدِمَتْ جيوش الاحتلال إلى بلاد المسلمين تقودها عقول غير العقول البربرية الصليبية؛ عقول تتمتع بقسط كبير من الدهاء والخبث، وتعرف -سلفاً-

(١) رؤية إسلامية للاستشراق ص ٨٣.

أن مهمتها أعظم من مهمة أجدادها، وأن نجاح هذه المهمة يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة.

وقد قطفت أولى ثمرات الخطة عندما استطاعت أن تحارب جيوش الدولة العثمانية بأناس مسلمين ساروا في ركاب اللورد اللِّنبي حتى فتح القدس[1].

وفي غضون القرن التاسع عشر استطاع الغرب النصراني أن يسيطر تدريجياً على العالم الإسلامي.

ولم تأتِ نهاية ذلك القرن حتى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريباً - في آسيا وأفريقيا - قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي بوجه عام، والاستعمار البريطاني والفرنسي بوجه خاص[2].

أهداف الاستعمار: للاستعمار أهداف كثيرة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- القضاء على الإسلام والمسلمين.

٢- رد المسلمين عن دينهم وذلك بإدخالهم بالنصرانية، أو تركهم متذبذبين.

٣- الرغبة في إذلال المسلمين.

٤- الانتقام مما حصل للنصارى إبان الحروب الصليبية.

٥- الحد من انتشار الإسلام.

٦- قطع حاضر المسلمين عن ماضيهم.

٧- سلب ثروات بلاد المسلمين وخيراتها، وتسخيرها لأطماع المستعمرين.

أعمال المستعمرين: سلك المستعمرون في سبيل تحقيق أهدافهم طرقاً شتى، وحققوا نتائج كثيرة.

(١) انظر العلمانية ص ٥٣٨.

(٢) انظر رؤية إسلامية للاستشراق ص ٤٠.

وتتلخص جهودهم وأعمالهم فيما يلي:

١- احتلال معظم بلاد المسلمين؛ إذ لم يسلم منها إلا ما ندر.

٢- إلغاء المحاكم الشرعية، وإحلال القوانين الوضعية محلها، ولا تكاد جيوش الاحتلال تضع أقدامها على أرض إسلامية حتى تبادر إلى هذا العمل؛ لأنهم يدركون نتائجه؛ فبدأوا بالهند سنة ١٧٩١م، ثم الجزائر ١٨٣٠م، ثم مصر ١٨٣٨م، ثم تونس١٩٠٦م، ثم تتابعت بعد ذلك الدول حتى عم ذلك الوباء أكثر بلاد المسلمين.

٣- القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية: وما قام به كرومر ودانلوب في مصر، والمستر كوك في العراق وغيرهم دليل على ذلك.

٤- استخدام الطوائف المنحرفة غير الإسلامية وإحياؤها، وهذه الخطوة من أخبث الخطوات، وأعمقها دلالة.

وحيثما حل المستعمرون يقومون بنبش العقائد الميتة، أو تنظيم الطوائف غير الإسلامية، ثم يمهدون لها السبل لتولي المناصب المهمة مستثيرين حقدهم على المسلمين بالزعم بأن الفتح الإسلامي كان استعماراً لهم.

ففي بلاد الشام قام المستعمرون بتمكين النصارى، ودعمهم وتسليمهم المناصب العليا ، كذلك قاموا بنبش عقائد الطوائف الباطنية بواسطة المستشرقين، وقاموا بنشر كتبهم كالنصيريين الذين سماهم الاستعمار الفرنسي علويين، واصطنعهم عملاء له، وحثَّهم على الالتحاق بالجيش حتى احتلوا قيادته العليا واستطاعوا أن يتحكموا في الأكثرية المسلمة.

٥- ساعد الاستعمار على قيام طوائف عديدة تهدف إلى هدم الإسلام كالبهائية، والبابية، والقاديانية.

٦- العمل على تدويل بلاد المسلمين إلى دويلات صغيرة؛ لكي تضعف قواها ولا تصمد أمام أعدائها.

٧- العمل على إذكاء العداوة بين تلك الدول.

٨- اصطناع العملاء من أبناء المسلمين: كما قال زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها».

٩- تنفيذ توصيات المستشرقين والمبشرين، والإشراف على إنجاح مهامهم، وتذليل العقبات التي قد تعترض جهودهم.

آثار الاستعمار[1]: ترك الاستعمار والاحتلال العسكري آثاراً كبيرة منها:

١- تَرْكُ الحكم بما أنزل الله في معظم بلاد المسلمين.

٢- إحداث الهزيمة النفسية لدى كثير من المسلمين، وقلة ثقتهم بأنفسهم، وزهدهم بالدين الإسلامي.

٣- إحداث التبعية للغرب، والإعجاب بما عنده، والتقليد الأعمى له.

٤- شيوع الأخلاق المرذولة، وانتشار الفساد والانحلال.

٥- تفتيت الوحدة الإسلامية، وإثارة الفتن والشقاق.

٦- انتشار اللهجات المحلية، وإضعاف اللغة العربية.

٧- فصل المجتمع المسلم عن ماضيه.

٨- التنفير من الفضيلة، ومهاجمة المجتمع المسلم بالكتب الخبيثة.

٩- رفع قيمة الأراذل والأنذال، والحط من قيمة الدعاة والمصلحين، ووصمهم بالألقاب المنفرة.

١٠- نشر الأفلام الهابطة، والقصص الداعرة.

١١- التحكم بمصير الشعوب، ونهب ثروات المسلمين.

١٢- ضياع الشخصية.

(١) ارجع إلى كتاب قوى الشر المتحالفة لمحمد محمد الدهان.

١٣- التميع، والتفسخ، وتحطم حاجز النفرة من الكفار، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء.

١٤- الركون إلى الملذات، والاشتغال بتوافه الأمور.

وكما أنه حصل من جراء الاستعمار آثار سيئة فكذلك حصل بعض الآثار التي انعكست على الأمة بالفائدة، منها:

١- تنبه المسلمين إلى الخطر المحدق بهم.

٢- انبعاث الغيرة على الدين الإسلامي.

٣- الحرص على تحقيق كتب الأسلاف.

٤- انبعاث الصيحات المنادية للجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: التنصير

مع بطلان ما يدين به النصارى من عقائد مخالفة للمنقول إلا أنهم لا يألون جهداً في سبيل نشر باطلهم، وإضلال الناس، وصدهم عن الحق، وصدق الله -سبحانه- إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فما التنصير؟ وما أهدافه؟ وما وسائله؟ وماذا حقق من أعمال؟

تعريف التنصير: هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر إخفاق الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة؛ بهدف إحكام السيطرة على هذه الأمم[1].

(١) انظر الموسوعة الميسرة ص ١٥٩.

والتنصير إنما هو امتداد وإكمال لأعمال المستعمرين والمستشرقين؛ فالمنصرون والمستشرقون والمستعمرون أهدافهم واحدة تقريباً وإن اختلفت الطرق.

أهداف المنصرين: للمنصرين أهداف، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- **إدخال من استطاعوا من المسلمين في النصرانية**: وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٢- **رد المسلمين عن دينهم**: وهذا هدف ثان فإن لم يحصل دخولهم في النصرانية فلا أقل من زعزعة إيمانهم وتشكيكهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣- **تحطيم عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين**: وذلك بهدف كسر حاجز النفرة في نفوس المسلمين؛ لكي يذوبوا في المجتمعات، وتضيع شخصيتهم، ويفقدوا هويتهم، ومن ثم يسهل القضاء عليهم.

٤- **إفساد أخلاق المسلمين وعقولهم**: وذلك بإغراقهم بتوافه الأمور، وبالشهوات، وإضعاف هممهم.

٥- **الحد من انتشار الإسلام**.

٦- **تشتيت المسلمين وتفريق كلمتهم**.

٧- **استهلاك جهود العلماء والدعاة في مقاومة أفكار التبشير**[١].

٨- **القضاء على القرآن ومحوه**.

٩- **السعي المستمر لإبعاد قادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول العالم الإسلامي؛ حتى لا ينهضوا بالإسلام**.

(١) انظر العلمانية ص ٥٥٦.

١٠- **إفساد المرأة وإشاعة الانحراف الجنسي**[١].

أساليب المنصرين ووسائلهم: سلك المنصرون في سبيل نشر باطلهم، وتحقيق أهدافهم طرقاً مختلفة، وأساليب متنوعة ملائمة لكل زمان ومكان، ومن تلك الطرق والأساليب[٢]:

١- فتح المحاضن والمدارس والكليات والجامعات في أنحاء العالم الإسلامي.

٢- الاهتمام بالريف الإسلامي.

٣- ركزوا على إفساد المرأة، حيث رأى المبشرون أن حجاب المرأة يقف سداً منيعاً دون إفسادها وبالتالي إفساد الأجيال المؤمنة، فبذلوا كل جهودهم لإخراجها من حرزها الذي لم يستطيعوا اقتحامه عليها.

ولا شيء يعدل التعليم في ذلك؛ فاهتموا في تعليمها، وتدرجوا في نزع الحجاب، ونجحوا في ذلك أيما نجاح.

٤- السيطرة على وسائل التربية والتعليم والتوجيه، وجعلوها وسيلة لنشر سمومهم، وتهوين العقيدة الإسلامية في النفوس، وعرض الشبهات حول كمال وصلاحية الشريعة، أو على الأقل الانحراف بهذه الوسائل عن مقاصدها الصحيحة إلى العبث واللهو مع صرف العناية إلى الأطفال، والنفاذ إلى عقولهم.

٥- تحريمُ تحديدِ النسل وتنظيمِه بين شعب الكنيسة، وتشجيعُ تحديدِ النسل وتنظيمه بين المسلمين خاصة وأن أكثر من ٦٥٪ من الأطباء وبعض الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة[٣].

(١) انظر قادة الغرب يقولون ص ٧٤-٧٥.

(٢) انظر العلمانية ص٥٥٤- ٥٥٦.

(٣) انظر ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان ص ٢٤.

حقيقة الصهيونية

الصهيونية في حقيقتها وجوهرها ومناطها: عقيدة دينية متطرفة، يذعن لها أشياعها، يسوقهم الغرور والتعصب العنصري قسرًا، بلا وعي ولا إرادة، وأساسها في زعمهم تعاليم التوراة التي تنص على أن الله تعالى قد وعد اليهود بملك أبدي واستخلفهم في الأرض خالصة لهم من دون الناس. وطريقهم إلى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة منكرة، كما رسمتها مناهجهم العملية في بروتوكولات صهيون، فهي تعتمد أساسًا على تقويض أركان المجتمع العالمي، وبث عناصر الانحلال تعبث في خلاله وتستشري في أوصاله، وإشاعة الفوضى الفكرية والاجتماعية، حتى إذا تداعت قيمه وفقد مقوماته تهاوى خائرًا مستسلمًا في خواء فكري وفراغ سياسي.

انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردَّى فيها العالم ليمسكوا بزمام حكمه، ويقيموا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا يكون قوامها من طبقتين:

الطبقة الأولى: اليهود - الشعب المختار - يتربعون على عرش

السيادة وفي يدهم صولجان الحكم.

الطبقة الثانية: وهم من دون اليهود من الناس قاطبة وهم عبارة عن عبيد وخدم لليهود يخضعون لحكمهم ويذعنون لطاعتهم[1].

والصهيونية العالمية تمثل في حقيقتها وجوهرها روحًا بغيضةً في كل زمان ومكان وداءً وبيلًا ينشر العداء والأنانية والخلق المقيت المتأصل في طائفة من العبريين منذ أقدم العصور، وتاريخ اليهودية يعكس هذه الحقيقة، فإننا لا نكاد نجد في تاريخ اليهود فترة واحدة تآلفوا فيها مع أنفسهم أو مع جيرانهم، فقد ضاق بهم المصريون حين عاشوا بينهم، ومقتهم الكنعانيون حين عادوا إلى كنعان، ولم يهدأ لهم مقام في ربوع دولتهم أيام داود، وثاروا على سليمان عندما بنى لهم الهيكل... وما لبثوا أن انقسموا فيما بينهم، فأقاموا مملكةً في الشمال وأخرى في الجنوب، وتاريخ المملكتين صورة مما تنطوي عليه نفوسهم من غدر وحقد وميل إلى الشر والهدم، ثم سباهم البابليون وحملوهم إلى أرض بابل، فلم يحتمل أهلها العيش معهم حتى اضطر عاهلهم «كورش» إلى إعادتهم إلى أرض فلسطين متظاهرًا بالعفو عنهم.

والصهيونية العالمية، وإن اختلفت في أساليبها ووسائلها تبعًا لمقتضيات الحال، فإن جوهرها واحد لا يختلف، يتركز في السعي وراء كشف الأستار والأسرار والخفايا، واللجوء إلى تسخير كل الوسائل والسبل لتحقيق أهدافها كلما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، دون اعتبار للمبادىء وللمثل العليا والقيم الأخلاقية ولروابط الأسرة والمجتمع، وهي ربيبة الفوضى إذ لا تستطيع أن تحيا إلا في ظلها أو تطلق يدها بالعمل إلا في كنفها لأن المثل والمبادىء والأخلاق هي حواجز كأداء في طريق تسللها وانتشارها، وبذلك تعمل حثيثًا على هدم عقائد الناس وأخلاقهم ومثلهم وشرائعهم حتى تفسح لنفسها الميدان للعمل بحرية وبانطلاق.

والصهيوني صهيوني أولًا وآخرًا لحمًا ودمًا وفكرًا وعقيدة مهما تشكلت أسماؤه وتغيرت عقائده فاعتنق الشيوعية أو حاربها، عارض الديمقراطية أو أيدها، وتسمى بالمسيحية أو أعلن الإلحاد، كما أن الصهيوني صهيوني قبل كل شيء مهما تكن جنسيته فهو يتجنس بالجنسية البريطانية أو الأمريكية ويؤيد مع ذلك صهيونيته، وإذا ما تعارضت مصلحة الأولى مع الأخيرة أصبح صهيونيًا وصهيونيًا فقط[1].

أهدافها

يمكن أن نحدد أهداف الصهيونية في الأهداف الرئيسة التالية:

١ - إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم؛ لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة، وتكميل قلوب اليهود حولها. وقد حدد المؤتمر الذي عقد في بال بسويسرا الأهداف الصهيونية في العبارة التالية:

«إن غاية الصهيونية، هي خلق وطن للشعب اليهودي بفلسطين، يضمنه القانون العام» ومن أجل تحقيق هذه الغاية خطط المؤتمر خطوات أربع كان لابد منها لتحقيق هذا الهدف وهذه الخطوات هي:-

أ - تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وخاصة تشجيع استيطان العمال الزراعيين، والصناعيين، اليهود في فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني، وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين (وهي عبارة عن تجمعات سكنية

والدول الموالية لهم في العالم) وتوطيد الكيان اليهودي الناشيء في فلسطين سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا.

ب ـ تنظيم اليهود وربطهم جميعًا عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي كل منها حسب قوانين البلد المعني.

جـ ـ تقوية الحس والوعي القومي اليهودي وتعزيزها.

د ـ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول حيث يكون ذلك ضروريًا لتحقيق هدف الصهيونية[1].

وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص.

لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا واكثر دول أوربا لحماية إسرائيل سياسيًا وعسكريًا ودعمها اقتصاديًا وبشريًا[2].

٢ ـ حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام (الشريعة اليهودية)،

(١) انظر الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٣٧، الصهيونية لخيري حماد ص ٣٣، أخطار الغزو الفكري لصابر طعيمة ص ٣٧٦.

(٢) الموسوعة اليهودية واليهود ص ٦٠

وإثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى[1].

٣ ـ هدفت الصهيونية بالتعاون مع الاستعمار إلى أهداف سياسية في العالم الإسلامي من ذلك:

أ ـ تمزيق وحدة المسلمين والعرب والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وافريقيا، فهرعت الصهيونية إلى وراثة النظام الرأسمالي والسيطرة على العالم الإسلامي.

ب ـ تتمة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي بتدمير كل القيم والأنظمة والأخلاق ونقل أسلوب الإلحاد والإباحية والتسلط[2].

وقد أفرزت الصهيونية فكرًا خطيرًا في العالم الإسلامي، وفي العالم أجمع هو الفكر الماسوني[3]، مما سنتناوله في بحث مستقل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٤ ـ كما تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلههم يهوه، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر حاضر العالم الإسلامي د. جميل المصري ١/٨٧

(٣) انظر حاضر العالم الإسلامي لجميل المصري ١/٨٧.

على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات[1].

فالصهيونية ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين، وإنما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة، واسترقاق شعوبها كافة، وإخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية.

ولم تكن الأهداف الإقليمية اليهودية مرتبطة بفلسطين بالذات، فقد كان هدف اليهود المضطهدين تجميعهم في دولة يهودية يمتنعون فيها، ويمارسون فيها حياتهم العنصرية بمنجاة من الاضطهاد، أيًا كانت هذه الدولة، دون التقيد بإقليم معين، غير أنهم ما أن استشعروا تعاطفًا من المجتمع الدولي حتى ظهرت رغبتهم الدفينة في امتلاك فلسطين، وفشلت كل المشاريع والعروض في جعل وطنهم القومي في الإرجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو جنوب أفريقيا أو استراليا أو أوغندا... الخ[2]، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وهكذا فقد كانت الحركة الصهيونية تهدف منذ بدايتها إلى تمزيق وحدة العرب والمسلمين، واقتلاع جذور سكان

(١) الموسوعة الميسرة ص ٣٣٣.

(٢) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ١٦٢.

فلسطين من أرضهم بأية وسيلة من الوسائل، ومهما حاولت الحركة الصهيونية أن تدعي السلام فإن مجرد إصرارها على تحقيق أهدافها، هو دليل على اختيارها العنف والقوة أسلوبًا لعملها السياسي، ولذلك يجب ألا نستهين أو نستخف بتحدث الصهيونية عن دولتهم الكبرى «من النيل إلى الفرات» فسوف تستخدم الصهيونية جميع الوسائل وتستغل جميع الفرص والإمكانات لتحقيق هذا الحلم ومن ثم فإن كل حديث عن الاستقرار في المنطقة لا يمكن أن يكون له وجود طالما كانت إسرائيل في عالم الوجود.

٥ - توسيع حدود إسرائيل بحيث تشمل فلسطين التاريخية من النيل إلى الفرات حتى ينفسح المجال لتوطين اليهود الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم[1].

ومما يؤكد ذلك ما نشرته صحيفة «جيروزاليم بوست» تصريحًا لموسى شاريت ألقاه في الكنيست عام ١٩٥٥م قال فيه: «إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشن حربًا وقائية على الدول العربية، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وحتى تحقق الحلم الذي طالما

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٣٧.

راود فلاسفة الصهيونية ألا وهو إقامة امبراطورية إسرائيل ممتدة الأرجاء، تفرض سلطانها قويًا يخشاه الجميع.

وخطب «مناحيم بيجن» في تل أبيب قائلاً «إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء، وإنه يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية»(١). وإن الخريطة الجغرافية التي وضعتها اليهود لدولتهم المرتقبة تشمل فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان وقسمًا كبيرًا من العراق ومصر بما فيها شبه جزيرة سيناء كلها والدلتا كما تضم أراضي جنوب العقبة. كذلك فإن الخريطة الرسمية المستعملة في مدارسهم تسمي الأجزاء العربية من فلسطين وشرق الأردن «إسرائيل التي يحتلها العرب»(٢).

وقد قامت إسرائيل بحرب واسعة عام ١٩٦٧م واحتلت أجزاء كبيرة من الأراضي العربية في مصر وسوريا والأردن بما في ذلك مدينة القدس. كما احتلت بعد ذلك أراضي كبيرة في جنوب لبنان، ومازالت تهدد وتكرر اعتداءاتها على الجنوب اللبناني.

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٨.

٦ - لأن فلسطين، هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقية، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، ولأنها المركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم. وهذا الهدف من كلام غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧م(١).

٧ - متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميًا وتمويلها اقتصاديًا، ودعمها سياسيًا(٢).

(١) انظر الصهيونية لخيري حماد ص ٧١.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب ص ٦٠

خطر الصهيونية

١ ــ اشـاعة الفوضى الشـاملة :

جاء فى البروتوكول الخامس : (اننا نقرأ فى قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل) ، وقد تركزت هذه العبقرية ــ مع الأسف ــ فى الافتتان فى وسائل الفساد والتخريب ، وفساد الحكومات والمجتمعات ، وتخريب الدول والنفوس ، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العملية لتقويض الحكم القائم فى شتى الدول ، واقامة حكومة يهودية جامعة على أنقاضها : (أروع النتائج التى يمكن الحصول عليها فى سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية) .. (وان الذى يحكم ، يجب أن يلجأ الى الحيلة والنفـاق ، وفى السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق الى رذائل تؤدى الى سقوط الملك عن عرشه) .. (يجب أن يكون شعارنا : جميع وسائل القوة والنفاق يتحتم أن يكون البطش هو المبدأ ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التى لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أى حكم جديد .. وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير ، فعلينا أن لا نتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال اذا كان ذلك يخدم قضيتنا) .

وتنشـأ عن هذه الخطط والوسائل الصهيونية اشاعة الفوضى فى العـالم والتسلل اليهـودى من خلالها ، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم : فوضى عاتية جائحة : سياسية وفكرية وروحية واجتماعية واقتصادية .

٢ ــ اثارة الفتن والوقيعة بين شعوب العـالم ودوله :

كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفتش عن خطة الصهيونية فى خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سـنة ١٩٥٤ م (١٣٧٣ هـ) حيث

قـال : « هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠ ، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين فى ألمانيا والألمانيين فى أمريكا ، وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقـد شرعنا فى شن حملات مماثلة فى سائر أنحاء العالم ، فأثرنا فى روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحـدة ، وفى نفس الوقت أثرنا فى الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعيين ، وتؤدى هذه الحملات الى دفع الدول الصغيرة الى تحديد موقفها اما مع روسيا واما مع أمريكا » .

وهذا تطبيق لمـا رسمته البروتوكولات صراحة ، ففى البروتوكول العـاشر : (يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة فى العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات ، واشاعة الأعمال العدوانية والاحقاد ، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض ، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأزراء التى تحل بهم سوى الالتجاء الى أموالنا والى سيادتنا المطلقـة) .

وفى البروتوكول الحادى عشر : (غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فاننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام اذا اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ انها تغمض عينيها ، وستدفعهم الى ذلك) .

ويتضح فى البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصـهيونيون لتحقيق أهدافهم : (واذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث فى جميع الدول فى وقت واحد ــ بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب ، وقـد يمضى على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا ــ ستبذل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا) .

واعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب فى العـالم ، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى ، يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التى تصدت لليهود وانتقمت منهم .. وقـد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية باقراض الدول بالربا الفاحش ، وترويج تجارتهم فى مواد القتال التى يحتكرونها ، والقضاء على شعوب أوربا وتقويض دولهـا .

كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشـفية فى روسيا وفرضوا وصايتهم عليها ، لتحقيق مآربهم العنصرية التى فشلوا فى تحقيقها فى عهد القياصرة .

وقـد نجحت العناصر الصهيونية فى حكومة البلاشفة فى ممالأة اليهود والتستر على ما قد يسىء اليهم ويفضح نواياهم ، فلما طبعت البروتوكولات فى روسيا سنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا ولم يسمح بطبعها بعد ذلك .

٣ ــ الارهاب الفكرى وافساد الرأى العام :

يشرح البروتوكول الخامس كيفية افساد الرأى العام وبلبلة الأفكار فيقول : (ولكى نطمئن الى الرأى العام يجب أن نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق) .. ويوصى بـ : (مضاعفة الأخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى ، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا .. وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب ، وعلى حل الجماعات القوية ، وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

وفى البروتوكول السابع : (يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأى العام الذى هيأناه عن طريق أعظم قوة وهى الصحافة التى ــ فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التى لا قيمة لهـا ــ توجد كلها فى قبضتنا) .

وفى البروتوكول الثامن : (لا يتيسر اسناد المناصب الرئيسية فى الحكومة الى اخواننا اليهود ، فاننا سنسند المناصب الهامة الى أناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو الى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم فى السجون اذا ما حاولوا دون تنفيـذ أمرنا) .

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لاشباع حقدهم ونزواتهم ، بافساد العقول والأخلاق ، والعبث بالقيم والفضائل الانسانية فابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة .. فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الانسانى ، فاليهودى: كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان .. واليهودى دركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحـاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضـائل والآداب ، واليهودى سـارتر وراء الوجودية التى جنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال[1] .

وفى البروتوكول الثانى : (.. نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود) .

٤ ــ اشـاعة الفوضى والفساد فى المجتمع :

رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض ، ويبذرون الفوضى والانحلال فيـقول : (ان الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه المته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللواتى يعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف) .

وفى البروتوكول التاسـع : (لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادىء والنظريات التى نعلم أنها مبادىء ونظريات فاسدة وعملنا على ترسيخها فى ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذى لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعالة) .

٥ ــ افتعال الأزمات الاقتصـادية :

يفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادى الذى يستعين به اليهود على تقويض الحكومات : (وسـنعمد الى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذى يجرى بين أيدينـا) .

وفى البروتوكول الرابع : (يجب أن نقيم التجـارة على أسس

---

١. انظر : (الصهيونية العالمية) .

المضاربة ، ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التى انتجتها الأرض وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزائننا) .

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الاضرار بالانتاج : (وسنعمل على تقويض الانتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر ، كما أنه لابد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير اليهود من وجه البسيطه) .

٦ ـ القضاء على الأديان :

فى البروتوكول الرابع عشر : (عندما نصبح أسياد الأرض لانسمح بقيام دين غير ديننا .. من أجل ذلك يجب علينا ازالة العقائد ، واذا كانت النتيجة التى وصلنا اليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين ، فان هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التى ستستمع الى دين موسى ، هذا الدين الذى فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا) ..

وفى البروتوكول السابع عشر : (لقد عنينا عناية خاصة بالعيب فى رجال الدين غير اليهود ، والحط من قدرهم فى نظر الشعب ، وأفلحنا كذلك فى الاضرار برسالتهم التى تنحصر فى تعويق أهدافنا والوقوف فى سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام ..

وان حرية العقيدة معترف بها اليوم فى كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع سنوات ، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ، ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة ..

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها ، ونجعل تأثيرهم فى نفوس الشعب فاترا الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا) .

ومن هنا كان الاسلام بعد المسيحية المجال الرئيسى الذى كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأب حثيث ، وكانت محاربتهما هدفا لليهود منذ أزمان سحيقة ، ففى التلمود : (حيث أن المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى كما قاتلنا الكذاب الأول[1]) .

(١) د. محمد الزعبى : (دماثن النسبة اليهودية) ص ١٢٨ .

وقد جاهر حاخام اسرائيل فى الحفل لوضع الحجر الأساسى للمحفل الماسونى فى تل أبيب سنة ١٣٧٧ هـ بقوله : (اننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب الى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض ، وما عدا ذلك فهى أديان باطلة ، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد ، وبين أى شعب وشعب ، ونتيجة لمجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الاسلامى ، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة) .

وينبغى الا ننسى أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه الى أعضاء المحفل الماسونى الذى تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الدينى ، وأنه يتحلى بالحياد تجاه العقائد .

محاربة الصهيونية للاسلام :

حرصت دولة اسرائيل على محاربة الدين الاسلامى فى نطاقها المحلى ، تطبيقا للمبادىء التى نص عليها البروتوكولان السابقان ، فعمدت الى اجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة ، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الاسلامى .

وتطاولت اسرائيل على القرآن الكريم فطبعت فى عامى ١٣٨٠ و ١٣٨٨ هـ نسخا مزورة من المصحف الشريف . اسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذافيرها ، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف ـ تبتغى بذلك تحريف بعض المعانى القرآنية والتشكيك فى سلامة كتاب الله ـ بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها .

ودأب اليهود ، منذ ظهور الاسلام على محاولة افساد شرائعه ، وتشويه مصدر أحكامه ، فدسوا كثيرا من البدع المضللة ، ومنهم من انتحل الاسلام نفاقا ورياء ليفترى على الاسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ليكيد بها الاسلام ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين ،

وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالاسرائيليات ، وهى كل ما دسه اليهود على تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوى من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية فيها اغراب وزيغ عن المعنى المقصود ، قصد بها التضليل والأرجاف والبلبلة واثارة الشبهات بتشويه حقائق الاسلام الناصعة[1] .

ومن دهاة اليهود عبد الله بن سبأ الحميرى (ابن السوداء) الذى ترجع اليه طوائف غلاة الشيعة ، وهو القائل بمذهب الرجعة ومذهب الحلول (يزعم أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا ، وانما المقتول شيطان تصور للناس فى صورة على ، أما على رضى الله عنه فقد صعد الى السماء على أن يرجع الى الأرض بوصفه [المهدى المنتظر] حيث ينتقم من أعدائه ويقيم العدل والحق ..

(١) من ذلك تفسيرهم الروح فى قوله تعالى : (تنزل الملائكة والروح فيها) بأنه ملك هائل لو التقم السموات السبع ، والارضين السبع ، كانت له لقمة واحدة ، وكذلك ما ورد فى قصة عوج بن عنق . وغيرها ..

الماسونية

المنظمات الصهيونية

جاء فى التوارة أن الله أوحى الى موسى عليه السلام أن يتخذ مجلسا من سبعين شيخا من شيوخ بنى اسرائيل[1] ويسمونه [مجمع السنهدرين] ، وهو يتألف من حاخاماتهم بزعامة الكاهن الأكبر . وقد ظل مجمع السنهدرين قائما حتى انفض عام ٧٠ بعد الميلاد ، بعد تدمير هيكل سليمان ، وتمزق اليهود وتشتتهم فى شعاب الأرض . ولكن حلت محله هيئات سرية ترعى شئون اليهود ، وتعمل مستخفية .

وفى عام ١٨٠٧ م حاول نابليون بونابرت احياء السنهدرين القديم فى هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين لجمع شمل اليهود تحت لوائه ، بغية الافادة منهم فى تحقيق مشروعاته الاستعمارية فى الشرق خاصة ، غير أن اخفاقه فى تحقيق أطماعه أحبط تلك المحاولة .

وأخيرا تولت الكيهيلا قيادة اليهود — ومعناها فى العبرية : المحكمة العليا — وهى تضم أقطاب اليهود من رجال الدين والفكر والمال والسياسة ، وتشرف على كافة الأنشطة اليهودية التى تقوم بها المنظمات المختلفة فى العصر الحديث ، فتتلقى منها ما تستجمع من بيانات ومعلومات وتتولى التنسيق بينهما ومتابعتها واستغلالها ، وتعرف هيئة الكيهيلا حاليا بالمؤتمر اليهودى العالمى ، الذى يعمل على احتواء اليهود فى أقطار الأرض والتوفر على تحقيق ما وعدت به التوراة من سيادة اليهود لشعوب العالم ، وسيطرتهم على أرجاء المعمورة باعتبارهم شعب الله المختار .

ويعترف الحاخام دراهما بانتظام الهيئات اليهودية السرية المختلفة تحت شعار واحد ، وهدف موحد ، أيا كان نشاطها ، وأينما باشرته حيث يقول فى كتابه (التناسق) : « ان جميع الجمعيات السرية موسومة

(١) الاصحاح ٢٤ من سفر الخروج .

بطابع واحد ، اذ كلها تعمل بقيادتنا[1] » .

منظمات يهودية علنية :

بعد أن ظفر اليهود بحقوق المواطنين فى القرن الثالث عشر الهجرى (الثامن عشر والتاسع الميلاديين) سارعوا بانشاء جمعيات يهودية سافرة فى عدة أقطار ، مثلا جمعية عشاق صهيون التى أنشئت فى أوديسا سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ) ، وحركة التنوير (الهاسكالاه) فى ألمانيا ، التى أنشأها موسى مندلسون ،وجمعية الاستعمار اليهودى التى أنشأها البارون أدموند دى هيرش ، وجمعية كادينات النمسوية التى كان يرأسها ناتا بيرنباوم ، وجمعية صهيون النمسوية التى تولى رئاستها تيودور هرتزل .

وبمجهود هرتزل التأم أول مؤتمر عالمى فى مدينة بال بسويسرة فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ، يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توفروا على توحيد جهودهم ، والسعى لتحقيق آمالهم .

وبالنظر لنجاح هذا المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر عقده بصفة دورية ، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية فى ألمانيا تنفيذا لقرار ذلك المؤتمر ، وهذه المنظمة هى أعلى سلطة تشرف على النشاط الصهيونى بمختلف صوره وأدواته ، وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة ، دعما لاسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الأول .

والى جانب هذه المنظمة يقوم المؤتمر اليهودى العالمى ويمثل الهيئة العليا التى تتولى شئون اليهود بالرعاية ، وتهيىء لهم السيطرة على أنحاء المعمورة ، وتعمل على انشاء الحكومة اليهودية العالمية ..

وقد باشرت المنظمة الصهيونية مهمتها الى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩م) حيث تكونت الوكالة اليهودية فى فلسطين وحلت محلها ، فلما أعلن قيام دولة اسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) تكونت الحكومة اليهودية من بين أعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية .

ومن المنظمات اليهودية السافرة : منظمة بناى بريث ومهمتها

(١) دفاتر النفسية اليهودية للزعيم ص ١٥٨ .

الدعوة الصهيونية وجمع التبرعات لاسرائيل ، ومنظمة الهداسا النسائية الصهيونية ومقرها نيويورك ولها فرع فى مدينة القدس ، ويشمل نشاطها الشئون الطبية وتقوم بالاشراف على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيونى ، ومثلها المنظمة الصهيونية النسائية العالمية المعروفة باسم ويزر التى تنتشر فروعها فى شتى أنحاء العالم . والمجلس القومى لجماعة شباب اسرائيل وقد اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بوصفه منظمة غير حكومية للشباب اليهودى ، ويمتد نشاطه الى الأمركتين فضلا عن اسرائيل . واتحاد عمال اسرائيل (الهستادروت ومنظمة سندات اسرائيل فى نيويورك لتمويل المشروعات الصهيونية) .

المنظمات السرية :

من المنظمات الصهيونية السرية الخطيرة التى اكتشف أمرها : الماسونية والبهائية ، وجمعية شهود يهوه ، ونادى الصلبان المزدهرة ، ونوادى الروتارى .. ونكتفى بالالمام بالمحافل الماسونية .

المحافل الماسونية :

هى من أقدم المنظمات اليهودية التى بثها اليهود أينما حلوا فى أقطار الأرض ، لتكون مثوى اجتماعاتهم التى يتناقشون فيها ويتبادلون الرأى والمعلومات . ويكفى لبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية أن بروتوكولات صهيون — الدستور الصهيونى — قد صدرت مذيلة بامضاء ثلاثمائة من كبار الماسونيين الحائزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية .

ولا يزال منشأ الماسونية طى الكتمان ، بل لغزا من الألغاز الغامضة[1] . ورغم ذلك فان تاريخ الماسونية الذى تتداوله معارف الماسونيين ينبىء عن أصالتها الدينية اليهودية ، فهم يزعمون أن الملك سليمان (عليه السلام) كان الأستاذ الأعظم فى محفل القدس ، كما عثر على مخطوطة يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر الميلادى

(١) كتاب (كيف انشىء المحفل الاكبر الوطنى السورى اللبنانى) تاليف حسين اللاز واحمد مختار نجاد ص ٢٨ .

يستدل منها على أن الماسونية دخلت انجلترا على يد اليهود فى مصر والقدس[1] .

شعار الماسونية :

والماسونية أو جمعية البنائيين الأحرار منظمة اجتماعية عالمية شعارها الذى يتسم به نشاطها الظاهر العدل — الاخاء — الحرية وهدفها : التعاون الانسانى بين أفرادها على أوسع مدى ، وقد اتخذت من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شعاراتها ورموزها ، فالبركار والزاوية هما الرمز العام للماسونية .

وعلامة الأستاذ الأعظم : البركار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث ..

وعلامة المنبه الأول الأعظم : ميزان البناء ..

وعلامة المنبه الأعظم : خيط الشاقول ..

وعلامة المهندس الأعظم : البركار ..

ويشار الى الله (سبحانه وتعالى) باسم : مهندس الكون الأعظم

ويسمى كل تنظيم ماسونى محفلا ، يجتمع فيه الأعضاء ، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل ، وتتبع المحافل المقامة فى مجموعة من الدول محفلا عاما يسمى : شرقا .. وتتكون الماسونية من طبقات ثلاثة متدرجة :

الطبقة الأولى :

وتعرف بالماسونية الرمزية العامة ، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان ، ويقسم أعضاؤها الى ثلاث فئات : المبتدئين أو الاخوة ، ثم الأساتذة ، ثم الأساتذة الأعاظم الذين يرأسون محافلها . وتتكون المراتب الماسونية فى هذه الطبقة الرمزية من ٣٣ درجة تتدرج صعودا حتى مرتبة الأستاذ الأعظم .

---

(١) المرجع السابق .

الطبقة الثانية :

وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكى ، ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم وكان أعضاؤها جميعا من اليهود ، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها ، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق ، وهى أدنى مراتبها ..

الطبقة الثالثة :

وتعرف بالماسونية الكونية ، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكى، وهى محفل واحد جميع أعضائه من اليهود ، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم ، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكى المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين .

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة ، وشارة خاصة ، وتحية معينة ، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو الى درجة أعلى ، وتختلف باختلاف طبقات المحافل ، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التى تعلوها .

ولا يقبل العضو الجديد فى أدنى درجات الماسونية الا بعد تزكية عضوين له ، وثبوت جدارته بما يجرى حوله من التحريات السرية التى تبعث على الاطمئنان اليه ، ونجاحه فى اختبار نفسى عسير يجرى فى غرفة مظلمة رهيبة حيث يمكث فترة طويلة فى تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهياكل العظمية ، ثم يتم قبوله فى حفل تكريس تجرى فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل .

ولا يرقى الماسونى الى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته ، بالترقية وتلقى أسرار الدرجة الجديدة ، وتتفاوت هذه الاختبارات فى الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو بحيث تمعن فى القسوة كلما علت الدرجة .. والقصد من ذلك التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذى قد يتعرض له فى سبيل كتمان أسرارها ..

وقـد اتخذت الماسونية ستارا لأغراضها الحقيقية — وهى خدمة الصهيونية — تلك النشاطات الانسانية والاجتماعية ، باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعى وتنفى عن نفسها التعرض للمباحث الدينية والأمور السياسية .. فالماسونى يلقى دائما من صنوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج اليه ، سواء كان ذلك فى وطنه أو البلاد الأخرى ، حيث يقابل من اخوانه الماسونيين المنتشرين فى جميع الأقطار بمزيد البشر والترحاب ، والاستعداد لخدمته ، والعمل على راحته ، حالما يلتقى بهم ويتعرف اليهم بمقتضى الاشارات المصطلح عليها فيما بينهم ، وكلمات السر المضنون بها على غيرهم .. بل يزيد الدعاة فى نشر الدعوة الماسونية بقولهم : ان الموظف الماسونى لابد أن يلقى من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقربه عينه ، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للترقى وتخطى الأقران .. واذا أجرم الماسونى ثم حوكم أمام القاضى الماسونى فان البراءة مضمونة له ، حالما يظهر له الاشارة الماسونية .. وهكذا التاجر ورجل الأعمال(١) .

ومعلوم أن الماسونى يقسم عند التحاقه بالعشيرة الماسونية أمام الرئيس المحترم — خليفة الملك سليمان — أن يتخذ من اخوانه الماسون أولياء له فى جميع أموره ، وأحواله ، وأن يأتمنهم كذلك على أعراضه ، وأن يتخذ القومية الماسونية دون سواها شعارا له مدى الحياة(٢) .

وقـد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات صهيون عن الدور الجدى للمحافل الماسونية فى سبيل انشاء الدولة اليهودية العالمية التى يدين لهـا سكان المعمورة ، ويخضعون لسلطانها حيث يسول :

ان المحافل الماسونية تقوم فى العالم أجمع — دون أن تشعر — بدور القناع الذى يحجب أهدافنا الحقيقية ، على أن الطريقة التى ستستخدم بها هذه القوة فى خطتنا ، بل فى مقر قيادتنا لازالت مجهولة من العـالم بصفة عامة .

وفصـل البروتوكول الحادى عشر : الأهداف التى ترمى اليهـا الصهيونية من افسـاح المجال لغير اليهـود للانضمام الى المحافل

(١) (الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها) للدكتور أحمد عاطوش الرئيس السابق للمحفل الاكبر الماسونى بالاسكندرية والحائز على الدرجة ٣٣ . ص ٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٨ .

الماسونية العالمية ، فقد جاء فيه : ما هو السبب الذى دفعنا الى أن نبتدع فى سياستنا ، ونثبت أقدامها عند غير اليهود ، لقد رسخناها فى أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى ، فما هو السر الذى دفعنا الى أن نسلك هذا المسلك ، اللهم الا أننا جنس مشتت وليس فى وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة ، بل بوسائل غير مباشرة فحسب . هذا هو السبب الحقيقى لتنظيمنا الماسونية التى لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فى فهم معناها ، أو الشك فى أهدافها ، اننا نسوقهم الى محافلنا التى لا عداد لها ولا حصر ، تلك المحافل التى تبدو ماسونية فحسب ، ذرا للرماد فى عيون رفاقهم .

وفى البروتوكولات نصوص كثيرة تبين دور المحافل الماسونية فى العمل لخدمة الصهيونية منها ما جاء فى البروتوكول الخامس عشر : يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم فى الحصول على المزايا التى توفرها لهم ، ويلتحق بعضهم بهـا لكى يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين ، ويتوق غير اليهود الى ضروب الانفعالات التى يهيئها النجاح والهتافات ، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب ، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم ، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور ، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقـة فى عصمتهم وفى أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم .

وهكذا كان الماسونيون أكبر معوان للحركة الصهيونية فى شتى الأقطار يعملون على تحقيق أهدافها السياسية والاستعمارية بحماس ودأب ، ومنهم على سبيل المثال [ونستون تشرشل] الذى عمل على تأييد الحـكومة الانجليزية للمطامع الصـهيونية فى فلسطين ، وكان [هارى ترومان] رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم . وقد أكدت ذلك مجلة شيكاغو افنجر فى عددها الصادر فى ١٣ يوليو ١٩٥٥ م ، وهو الذى سارع الى الاعتراف بدولة اسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة .

وتعزى الحركات الثورية العاتية ، والفتن المخربة التى اندلعت فى شتى الدول فى العصر الحديث الى النشاط الماسونى الهدام ، كالثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، والانقلاب العثمانى سنة ١٣٢٧هـ ، والثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٣٣٦هـ

موقف الإسلام من الماسونية :

إن الماسونية تعادي الأديان جميعاً ، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية ، وهز أركان المجتمعات الإنسانية ،وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمودوبروتوكولاتهم ، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة ، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضال أو منحرف أو كافر ، حسب درجة ركونه إليهم□

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه□

يجرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شانها وواجب المسلم إلا يكون إمعة يسير وراء كل داع وناد بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تجسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرر به ،وإن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم ، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية ، فليس في الإسلام مانخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم .

رئيس الفتوى بالأزهر□

عبد الله المنشد□

□كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها□

□وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة ، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد ، وما نشر من وثقانها فيما كتبه ونشره أعضاؤها ، وبعض اقطابها من مؤلفات ، ومن مقالات في المجلات التي تنطق باسمها□

وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ماطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي□

١- أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة ، بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها□

٢- أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء والإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب□

٣- أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية ، على أساس أن كل أخ ماسوني مجندفي عون كل أخ ماسوني آخر ، في

أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته ، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل . وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال□

٤- إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة□.

٥- أن الأعضاء المغفلين يتركون أجراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا ، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة□.

٦- أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أوخفية.□

٧- أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨- أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة□.

٩- أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الإجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم ، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها ، ولذلك تجرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.□

١٠- أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما ، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز . إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية□

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية ، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسئولين في البلاد العربية وغيرها ، في موضوع قضية فلسطين ، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى ، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.□

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب أهله.